Al-Qasemi Journal of Islamic Studies, **volume 4, Issue 1 (2019), 69-110**

فاطمة اليشرطيَّة: امرأة تسبق عصرها

وفاء أحمد السَّوافطة[1]

قد نجحد السَّيدة فاطمة اليشرطيَّة حقَّها إذا عرَّفناها بأنَّها امرأة صوفيَّة، "قضت عمرها في العبادة والتَّأمل والصَّلاة"، فقط؛ فهي وإن اشتهرت بتصوُّفها، ونسبتها إلى والدها القطب الشَّيخ علي نور الدِّين اليشرطي (1794- 1899م) شيخ الطَّريقة الشَّاذليَّة اليشرطيَّة، إلَّا أنَّنا نستطيع القول بثقة إنَّها نموذج المرأة الَّتي سبقت عصرها؛ إذ إنَّها من النِّساء القلائل اللَّواتي كسرن طوق الزَّمان والمكان، فامتدَّ أثرها، وذاع صيتها في الوطن العربي وخارجه؛ فقد عُرف عنها أنَّها امرأة امتازت بنشاطها ودورها الاجتماعي والثَّقافي الفاعل. فكتب عنها مؤرِّخون عرب وأجانب، وتداولوا كتبها وأفكارها، كما سنرى في ثنايا هٰذا المقال، الَّذي سأحاول من خلاله أن أرصد، في مكان واحد ولأوَّل مرَّة، كلَّ ما كتب عنها، حتَّى نلمَّ بشخصيَّتها، ونتعرَّف إلى دورها الَّذي أدَّته في محيطها الصُّوفي والفكري، ومحيطها الاجتماعي والإنساني. إضافة إلى أنَّني سأحاول في هٰذا المقال أن أحلِّل أبعاد تلك الشَّخصيَّة الفريدة، الَّتي تجاوزت كلَّ الظُّروف المحيطة بها، آنذاك، لتصنع عالمها الخاصَّ، بل وتسبق عصرها برؤيتها الإنسانيَّة الشَّاملة والصُّوفيَّة الثَّاقبة.

وقد ساعدت عدَّة عوامل السَّيِّدة اليشرطيَّة على أن تتبوَّأ هٰذِهِ المكانة الدِّينيَّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة المتميِّزة، ويمكننا تلخيص هٰذِهِ العوامل بما يأتي:

1. لقد منحها مزيدًا من الاهتمام **نسبها** إلى والدها القطب الصُّوفي الشَّيخ علي نور الدِّين بن محمَّد بن يشرط، والعائلة اليشرطيَّة.
2. **خصوصيَّتها ونسبتها** إلى الطَّريقة الشَّاذليَّة اليشرطيَّة، وحضورها مجالس العلم والتَّصوُّف في زوايا الطَّريقة في فلسطين وسوريَّا ولبنان.
3. **عصاميَّتها** وحبُّها للعلم وإصرارها على التَّعلُّم، على الرَّغم من كلِّ المعيقات الَّتي كانت سائدة في عصرها.

---

1 أكاديمي وباحث في الفكر الإسلامي والتَّصوُّف. حصل على درجة الماجستير من الجامعة الأردنيَّة، عن رسالته **نظريَّة الحبِّ الإلٰهي عند لسان الدِّين بن الخطيب**، ومُنح شهادة الدُّكتوراه من الجامعة اللُّبنانيَّة، عن كتابه **المدرسة الشَّاذليَّة اليشرطيَّة وشيخها الشَّيخ علي نور الدِّين اليشرطي**.

4. **شخصيَّتها** الإنسانيَّة المتواضعة وعقليَّتها المميَّزة، الَّتي كانت تجتذب حولها النَّاس من كافَّة الفئات والأعمار والثَّقافات.

أوَّلًا: نسبها

ولدت السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة في مدينة عكَّاء، عام 1890م، وكان والدها الشَّيخ علي نور الدِّين اليشرطي في سنٍّ متقدِّمة من العمر، عند ولادتها. وَلٰكِنَّ ذٰلِكَ لم يمنعه من أن يمحضها المحبَّة والعطف والإرشاد. وكان في الزَّاوية الشَّاذليَّة اليشرطيَّة، في عكَّاء، عابدة صالحة، ذهب الشَّيخ اليشرطي، بالمولودة إليها ليسألها ما يسمِّيها، فاقترحت عليه اسم (فاطمة) نسبة إلى السَّيِّدة فاطمة الزَّهراء [2].

وكان من حُسن طالع السَّيِّدة فاطمة أنَّ والدها الشَّيخ علي نور الدِّين اليشرطي كان علَمًا من أعلام التَّصوُّف الإسلامي في القرن الهجري الرَّابع عشر (الثَّامن عشر الميلادي)، أصله من (بنزرت) في تونس الغرب، حيث ولد هناك سنة 1208هـ/1794م، لأبوين صالحين، معروفين في الأوساط الاجتماعيَّة هناك؛ إذ كان والده محمَّد بن يشرط قائدًا كبيرًا في الجيش التُّونسي، وكانت والدته السَّيِّدة مريم تاجريَّة على قسط وافر من الثَّقافة، في عصر قلَّ فيه تعلُّم المرأة[3].

وبعد أن تلقَّى الشَّيخ علي نور الدِّين اليشرطي تعليمه في بنزرت، التحق بجامع (الزَّيتونة) في تونس، وحضر الكثير من الدُّروس هناك. ثمَّ اشتغل، في بداياته بتدريس التَّفسير والحديث والأصول، والتَّشريع، والمنطق، وعلم الكلام[4]. وقادته محبَّته لأولياء الله إلى طريقة الشَّيخ محمَّد حسن بن حمزة بن ظافر المدني، الَّذي أخذ الطَّريقة الشَّاذلية عنه. ولمَّا وجد

2 المرعشلي، يوسف، **نثر الجواهر والدُّرر في علماء القرن الرَّابع عشر، وبذيله عقد الجوهر في علماء الرُّبع الأوَّل من القرن الخامس عشر**، بيروت: دار المعرفة، 2006. ص 961-962.

3 اليشرطيَّة، فاطمة، **رحلة إلى الحقِّ**، ط 4، د. م، د. ن، 1997م، ص 172.

4 الذُّوادي، رشيد، **أعلام من بنزرت**، تونس: المغرب العربي، 1971 م، ص 23.

شيخه فيه الأهليَّة أجازه بإعطاء الطَّريقة لمن يراه أهلًا " ولم تزل مرتبته تتعالى، وخوارقه في الطَّريقة تتوالى، إلى أن تأهَّل للإرشاد..." [5].

وبعد أن فقد الشَّيخ علي نور الدِّين اليشرطي شيخه وأمَّه، صدر له الإذن الإلٰهي فسافر إلى الشَّرق، ليتحمَّل أعباء الدَّعوة إلى الله. فترك بلاده، حتَّى استقرَّ به المقام في عكَّاء بفلسطين[6]. وهناك اجتمعت عليه وفود العلماء والمفتين والقضاة، إضافة إلى عامَّة الشَّعب، وواظبوا على حضور جلساته العلميَّة والصُّوفيَّة الَّتي بدأ يعقدها في جامعها الشَّهير باسم (جامع الجزَّار).

وقد ساعدت بساطة أسلوبه، وتركيزه في خطابه الصُّوفي على النَّبض الاجتماعي[7]، على التفاف المريدين حوله، فأسَّس فرعًا للطَّريقة الشَّاذليَّة، صارت تعرف فيما بعد بـ(الطَّريقة الشَّاذليَّة اليشرطيَّة)، انتشرت في فلسطين، ومن ثمَّ في بلاد الشَّام والخليج العربي، ثمَّ امتدَّ تأثيرها إلى ساحل إفريقيا والمهاجر (أميركا وكندا والدَّنمارك والبرازيل) [8].

وعلى الرَّغم من قِصَر المدَّة الَّتي عايشت فيها السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة والدها الشَّيخ علي نور الدِّين اليشرطي، إلَّا أنَّها من خلال كتاباتها، أظهرت ذكاءً وقَّادًا، وتعلُّقًا متميِّزًا بشخصيَّة والدها، فتذكر بعضًا من الأحداث والمواقف الَّتي حصلت بينها وبين والدها، وبالتَّالي، حفرت في ذاكرتها، وأثَّرت على سلوكها وأخلاقها. ومن تلك المواقف أنَّها ذهبت، يومًا، مع أحد المتجرِّدين في زاوية والدها الحاجِّ سليم بليق[9] إلى شاطئ البحر، وكان صائمًا. فلمَّا

5 البيطار، عبد الرَّزاق، **حلية البشر في تاريخ القرن الثَّالث عشر**، تحقيق: محمَّد بهجة البيطار، دمشق: المجمع العلمي العربي، 1963 م، ص 1065.

6 اليشرطيَّة، **رحلة**، ص 207.

7 السَّوافطة، وفاء، **المدرسة الشَّاذليَّة اليشرطيَّة وشيخها الشَّيخ علي نور الدِّين اليشرطي**، (أطروحة دكتوراه)، ط 2، دمشق: دار البشائر، 2017، ص 214.

8 السَّوافطة، **م. س**، ص 804.

9 أحد مُريدي والدها الشَّيخ علي نور الدِّين اليشرطي، وهو من أهالي بيروت، وكان مكلَّفًا برعايتها والإشراف على تربيتها. وتقول السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة إنَّه، في بداية أمره، كان من طلبة العلم والفقه الشَّريف، ويحفظ القرآن الكريم غيبًا، مع إتقان علوم التَّجويد. وقد جاور في الحرم النَّبويَّ الشَّريف في المدينة

مالت الشَّمس إلى الغروب، قال لها: هلمّي بنا لنعود. فأبت، وبكت. فخضع، مرغمًا، وبقيا إلى ما بعد صلاة العشاء الأخيرة. وعندما رجعا إلى البيت، وجدا الباب مقفلًا. فناديا الشَّخص الموكَّل بفتح الباب. فأجاب: لقد أمرني شيخنا بأن لا أفتح لك. فجزعت أشدَّ الجزع، حتَّى جاءت أختها الكبيرة، السَّيِّدة عائشة، وأدخلتها، فقبَّلت يد والدها، وأعلنت توبتها، فقال لها:"ألا تعلمين أنَّ الحاج سليمًا صائم لله، ولا يجوز أن يبقى، إلى الآن، بلا طعام، إذ هٰذا مخالف لأوامر الشَّرع الشَّريف، وقد يكون جائعًا، فإذا لم تكوني أنت تشعرين بآلام غيرك، وبمن يصحبك، كشعورك بنفسك، وبآلام نفسك، فلا أريدك أن تكوني ابنتي"[10].

لقد كانت هٰذِهِ المواقف والتَّوجيهات تعزّز في شخصيَّتها البُعد الإنساني، وتعمّق لديها الشُّعور بالرَّحمة. وها هي تتذكَّر موقفًا آخر، في طفولتها، يبيّن تأثُّرها بتوجيهات والدها، الَّذي كان يحضُّها على عدم تجاوز الشُّعور والإحساس بمعاناة الآخر والإسراع إلى مساعدته، وفعل الخير والعمل الصَّالح. وتروي السَّيِّدة فاطمة أنَّ أسرة فقيرة كانت تسكن أمام الزَّاوية، في (عكَّاء)، تتألَّف من أب ظالم مستهتر وزوجه وأطفاله. وكانت ابنته خديجة تأتي وتلعب معها. "ورأيتها، يومًا، تبكي، وتقول إنَّ أسرتها لم تذق الطَّعام منذ يومين، وإنَّ والدها لا يعنى بأمرهم. فطلبت منها أن تتبعني إلى البيت، وأن تحضر وعاء. فجاءت وأخاها الأكبر، وتبعاني، فملأنا لها الوعاء بالطَّعام، وحمَّلتها خبزًا يكفي الأسرة كلَّها. ورآني والدي،ﷺ، فناداني وسألني عمَّا أفعل، فأخبرته .فدعا لي بالخير والبركة، وشجَّعني. ثمَّ، قال: "هٰذا لا يكفي. يجب أن تتكفَّلي أنت بالإنفاق على هَّذه الأسرة، فتقدِّمي لها ما تحتاجه من مأكل وملبس، طوال أشهر السَّنة". فكنت آخذ النُّقود، وأقدِّمها لهم بنفسي. وبقيت على تلك الحالة، إلى أن انتقل والدي،ﷺ ، إلى جوار ربِّه"[11].

ثم- تذكر موقفًا يظهر دور والدها في تربيتها على القيم الإنساني-ة الن-بيلة، فتقول: "وكانت لوالدتي قريبة، وهي طفلة يتيمة، من عمري، فأرادت والدتي أن تكون الطِّفلة تِربيَ،

سنتين متتاليتين. ثمَّ انتسب للطَّريقة الشَّاذليَّة اليشرطيَّة، وتجرَّد لخدمة الزَّاوية في عكَّا. انظر: اليشرطيَّة، فاطمة، **مسيرتي في طريق الحقِّ، أثر التَّصوُّف في حياتي**، ط 1، د.م: د. ن، 1997م، ص250.

10 اليشرطيَّة، **رحلة**، ص 355.

11 **م.س**، ص 356.

فأبيت، وقلت لها: هٰذِهِ الطِّفلة سريعة الغضب، ولن أحتمل مداراتها. فغضبت والدتي. وإذ بسيِّدي الوالد يدخل علينا، ويسألني، ما الخبر؟ فقصصت عليه الأمر. فقال: "ما كنت أظنُّك ترفضين عملًا إنسانيًّا كَهٰذا، وأنت ابنتي. أريد منك أن لا تدعيها تشعر بأثر الحرمان في الحياة، بسبب فقدها لوالدها. فرضيت، وعشنا معًا، إلى أن تزوَّجَت"[12].

أمَّا والدتها، فقد عايشتها فترة طويلة، قرابة السَّبعين عامًا، وهي السَّيِّدة رتيبة توسيز، ابنة أحمد بك توسيز[13]، فقد كان لها عليها أكبر الأثر، فلم تبخل عليها بالنُّصح والتَّوجيه والتَّشجيع[14]. وكانت السَّيِّدة فاطمة معجبة بشخصيَّة والدتها، الَّتي تأثَّرت بتعاليم زوجها الشَّيخ اليشرطي، تقول عنها: "وقد نشأت والدتي في الزَّاوية، في رعاية عمَّتها[15]، على التُّقى والصَّلاح والتَّصوُّف، وفي جوٍّ يفيض بالأسرار الإلٰهيَّة، والأنوار الذَّاتيَّة، والسُّموِّ الرُّوحي. فكانت صوَّامة قوَّامة، عابدة زاهدة، تمتاز بشخصيَّة صوفيَّة، وشعور ديني عميق، اكتسبتها من طول صحبتها لوالدي،ﷺ. فقد أخذت، عنه، الشَّيء الكثير، وتخلَّقت بأخلاقه المحمَّديَّة، وتحقَّقت بمعارفه وأنواره الذَّاتيَّة، فجمعت بين جمال الخَلق والخُلق، والصِّفات الإنسانيَّة الرَّفيعة، وكان تعلُّقها وحبُّها واحترامها، لسيِّدي الوالد، من قبيل العقائد الدِّينيَّة المستقرَّة في القلوب. لِذٰلِكَ، رأيناها مثلًا أعلى للتَّضحية، والنُّبل، وإنكار الذَّات، في خدمة الطَّريق وأهله، حيث كان، وما يزال، لها الأثر الفعَّال، في قلوب أبناء طريقتنا، الَّذين خصَّهم الله بالتَّلقِّي عنها، أو الاقتداء بها، ونيل شرف صحبتها..."

12 **م.س**، ص 356.

13 هو حفيد مصطفى بك توسيز أحد المماليك الَّذين عاشوا في مصر. وقد هرب من حكم محمَّد علي باشا في مصر، والتجأ إلى عبد الله باشا الجزَّار والي عكَّا. فلمَّا قامت الحرب بين المماليك والأتراك، وجاء إبراهيم باشا ابن محمَّد علي باشا من مصر، وحاصر عكَّا، عيَّن عبد الله باشا الجزَّار أحمد بك توسيز قائدًا عامًّا لجيشه. وحينما انتصر إبراهيم باشا، وفتح مدينة عكَّا، ودخلها، أمر بإعدام أحمد بك توسيز، ونفى أسرته إلى بلاد الأناضول. وبعد ثلاثة أعوام، رجعت الأسرة إلى مصر، ومن ثمَّ إلى عكَّا. انظر: اليشرطيَّة، **مسيرتي**، ص 227.

14 اليشرطيَّة، **م. س**، ص ص227 و229.

15 كان الشَّيخ اليشرطي قد اقترن بالسَّيِّدة خديجة توسيز ابنة مصطفى بك توسيز، وأرملة يعقوب بك المصري الزَّريِّ المعروف في فلسطين. وبعد وفاة السَّيِّدة خديجة، اقترن الشَّيخ بالسَّيِّدة رتيبة ابنة أخ السَّيِّدة خديجة.

"وكان حبُّها للأسرة اليشرطيَّة، ولأهلها وإخواننا وكافَّة مخلوقات الله، تعالى، حبًّا إنسانيًّا، مجرَّدًا عن الحروف والحظوظ الدُّنيويَّة، مقرونًا بِذٰلِكَ التَّسامح والتَّسامي. ولم يسبق أن عاش إخوتي وأولادهم وأحفادهم مع والدنا، في بيت واحد، إلَّا على عهدها. وكانت معاملتها لهم، ورعايتها إيَّاهم، منقطعة النَّظير"[16].

إذن، ضمن هٰذِهِ الدَّائرة المحيطة بها اكتسبت السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة قيمها الإنسانيَّة. أمَّا قيمها الرُّوحيَّة، فقد وصفت السَّيِّدة فاطمة الدَّور الَّذي لعبته والدتها في تربيتها وتنشئتها، وفي تصوُّفها، فقالت: " ...وكلٌّ من صحبها أفاد من علومها اللَّدُنِّيَّة، ومواهبها الرُّوحيَّة. ومن دواعي فخري، أنَّها ملهمتي، في وضع هٰذا الكتاب[17]. ويعود لها الفضل الأكبر بعد والدي، بتصوُّفي، وتصوُّف شقيقتي، وتوجيهنا لناحية العلم والسُّلوك في الطَّريق. فقد أدَّت رسالتها الأمويَّة، على الوجه الَّذي يرضاه سيِّدي الوالد، قدَّس الله سرَّه"[18].

ثمَّ تذكر قصَّة حصلت معها، تظهر عمق الأثر الَّذي تركته والدتها في حياتها، فتقول: "...ذات يوم، جاء رجل من إخواننا، من بلاد اليمن، وأحضر لي عقدًا جميلًا، أهداه إليَّ، بمناسبة العيد السَّعيد. ورجاني أن أحتفظ به لنفسي، إكرامًا له. فسررت جدًّا. وقرَّرت أن أحتفظ بالعقد لنفسي، مهما كلَّفني الأمر. وجعلت أردِّد قوله. وعلمت بالأمر حفيدة أختي، فبكت، وطلبت عقدًا مثله. وكان من المتعذِّر ذٰلِكَ، وبكيت، لأنِّي أريد العقد لنفسي، لا يشاركني فيه أحد، فنادتني سيِّدتي الوالدة، وقالت لي:

- يا فاطمة! ألا تريدين أن تنعمي برضا والدك، ورضا أختك الكبيرة، ورضاي؟ قلت:

- بلى. قالت:

- إن أخذت العقد لنفسك، فستتألَّم صديقتك وحفيدة أختك. فيجب أن تتنازلي عنه. وبعملك هٰذا، أكون سعيدة بك. وَهٰكَذا كان. ولم أتحلَّ بالعقد، قطّ"[19].

16 اليشرطيَّة، **رحلة**، ص 342.

17 تقصد كتاب **رحلة إلى الحقِّ**.

18 **م.س**، ص 344.

19 **م.س**، ص 343.

ويهمُّنا أن نشير، ها هنا، إلى أنَّ العائلة اليشرطيَّة، آنذاك، أبدت تعاطفًا ودعمًا مطلقًا للسَّيِّدة فاطمة، للظُّروف الصِّحِّيَّة الَّتي كانت تمرُّ بها، ولتميُّز شخصيَّتها وعقليَّتها واجتهادها الرُّوحي. إذ كان أخوها الشَّيخ إبراهيم اليشرطي، الَّذي ورث القطبانيَّة عن والده الشَّيخ علي نور الدِّين، قد ورث أيضًا محبَّة أخته الصَّغيرة فاطمة ودعمها، فكان سندًا لها في طفولتها وفي صباها. فها هي تقول بحقِّه: " ورغم الفرق الكبير، في السِّنِّ، بيني وبين أخي السَّيِّد إبراهيم، فقد كان والدنا يؤلِّف بين قلبينا، بحكمته الرَّشيدة. وكنت، إذا طلبت شيئًا، وبكيت، جريًا على عادة الأطفال، كان يطلب أخي، ويقول له: "فاطمة تريد كذا وكذا. فخذها إليك، علَّها ترضى". وكان أخي، بدوره، يخفُّ لتلبية رغباتي، إكرامًا لأبيه. فهو لم يكن يخالفه، أبدًا. فكان يعاملني، بمنتهى العطف والاحترام.

وفي بعض الأحيان، كان يأخذني، معه، إلى (حيفا)، ليبتاع لي الدُّمى الَّتي كنت ألهو بها. وكنَّا، إذا صعدنا إلى قرية (ترشيحا)، للاصطياف، حملني أخي على ذراعه، وهو يمتطي فرسه الكريمة، إذ كان ماهرًا في ركوب الجياد، معدودًا في الفرسان، رغم كثرة المتجرِّدين والإخوان الَّذين كان بإمكانهم أن يفعلوا ذٰلِكَ نيابة عنه، إكرامًا لأبي. كما أنَّه لم يكن ليرضى أن يُركبني أمامه، بل كان يرفعني على ذراعه اليسرى، مدَّة ثلاث ساعات، الأمر الَّذي كان يضطرُّه إلى طلب الماء السَّاخن، ليضع فيه ذراعه، كي تلين شراييها، حال وصولنا.

فكان حبِّي له، وتعلُّقي به، يزداد، على مرِّ الأيَّام"[20].

أمَّا شقيقتها السَّيِّدة مريم اليشرطيَّة، فكان لها دور لا يقلُّ شأنًا في رعاية السيدة فاطمة وتربيتها. إذ كانت الصَّغيرة ترى، في عيني أختها مريم ووجهها، مطلع والدها. وقالت إنَّها كانت تتلمَّس الرِّقَّة والنُّعومة في أحاديثها، حتَّى إنَّها صارت كلَّ شيء، بالنِّسبة لها، بعد أبيها وأمِّها. حيث تقول: "فهي رفيقتي، في درب السُّلوك، في طريقتنا الشَّريفة. وكنت أستنير برأيها، في كلِّ ما أقدم عليه من عمل أو كتابة، حتَّى إنَّني كنت أعرض عليها الفكرة الَّتي تجول في خاطري، قبل أن أكتبها، لأستفيد من رأيها وتعليقها. فهي دائمًا كانت تريد لي الخير والفلاح، في ديني ودنياي" [21].

20 اليشرطيَّة، **رحلة**، ص ص 360-361.

21 اليشرطيَّة، **مسيرتي**، ص 234.

امرأة أخرى من العائلة اليشرطيَّة كان لها دور مؤثِّر في دعم ومؤازرة السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة، في صباها، هي السَّيِّدة أنيسة ابنة أخيها محيي الدِّين اليشرطي، الَّتي كانت تشارك في تمريضها والسَّهر عليها، عندما تشتدَّ عليها نوبات الرَّبو. وهي تصف هٰذِهِ الشَّخصيَّة بالقوَّة، فتقول: "...كنت أصغي إليها وأحترمها وأقدِّر مكانتها. وكثيرًا ما كانت تنصحني، وتقول لي: زمانُكِ غير زماني وزمان أمِّكِ. فعصركِ هٰذا يخضع للقوَّة. قال الله، تعالى، في كتابه العزيز :﴿**فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ**﴾[22]. فإن أردتِ أن يكون لك شأن في هٰذِهِ الحياة، فبقوَّة الشَّخصيَّة، وقوَّة الإرادة، والاعتماد على النَّفس. وَهٰذا، بالتَّأكيد، يزيد في إنسانيَّتك وصوفيَّتك. ولقد استفدت كثيرًا من هٰذا النُّصح"[23].

ثانيًا: خصوصيَّتها ونسبتها للطَّريقة

أمَّا الخصوصيَّة الَّتي امتازت بها السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة، من قِبَل والدها الشَّيخ علي نور الدِّين اليشرطي، فيحدِّثنا عنها الشَّيخ أحمد اليشرطي، شيخ الطَّريقة الشَّاذليَّة الحالي، الَّذي قام بالإنفاق على طباعة كتبها جميعها وأشرف على ذٰلِكَ، يقول في تصديره لكتابها **مسيرتي في طريق الحقِّ**، فيقول: "والمؤلِّفة، منذ نشأتها الأولى، بل منذ ولادتها، حظيت خصوصيَّة فريدة، وشملتها رعاية دقيقة شديدة، وتولَّتها عناية حصيفة رشيدة... فإنَّها قد ولدت، ووالدها، قدَّس الله سرَّه، يناهز المائة عام، فحازت على رعايته وعنايته. ورأى هو فيها، من الذَّكاء والفطنة، رغم طفولتها، ما يلفت النَّظر ويشير إلى أنَّها سيكون لها مستقبل بيِّن وأثر. فتولَّاها،ﷺ، بعطفه الأبويِّ، وحنانه الرُّوحي، مع توجيهاته الحكيمة، وتعاليمه القويمة المستقيمة"[24].

وتتذكَّر السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة، رحمها الله، بعضًا من التَّوجيهات والتَّعاليم الَّتي تعلَّمتها من والدها، على الرَّغم من صغرها، كما أنَّها تتذكَّر الكثير من شخصيَّة والدها، الَّذي كان دائمًا يوجِّهها بحكمته. فتقول إنَّها تعلَّمت منه التَّواضع في العلم، إذ كان يردِّد على

22 **الأحزاب**: 32.

23 اليشرطيَّة، **مسيرتي**، ص 239.

24 **م.س**، ص 17.

سمعها، قوله: (الفقير[25] هو الَّذي لا يتكلَّم فوق مقامه)[26]. كما تعلَّمت منه المثابرة والعمل، حيث كان يقول لها:(يا ابنتي، كوني دائمًا في مقام العبوديَّة لله، يرفعك الله إلى مقام العارفين والصِّدِّيقين) [27]. كما كان يحثُّها على الصِّدق في القول والعمل، فيقول لها: (يا ابنتي! كوني صادقة في كلِّ شيء. ومتى كنت صادقة في كلِّ شيء، فلا تخافي من شيء. فالصِّدق منجاة. كوني دائمًا مع الحقِّ[28]).

وقد بلغ من اختصاصها بقربها من ذٰلِكَ القطب المربِّي أنَّ كلماته تلك دفعتها إلى تثقيف نفسها، وشقِّ طريقها، متَّخذة من توجيهات والدها وإرشاداته، نورًا تهتدي به، وأساسًا تعتمد عليه. وظلَّت حتَّى بعد وفاته، تتذكَّر كلماته لها، والَّتي كان لها الدَّور الكبير في حثِّها على العلم، والاعتماد على نفسها في البحث والجدِّ في طلب الحقيقة، على الرَّغم من أنَّها لم تلتحق بالدِّراسة المنتظمة لأسباب صحِّيَّة، وأخرى شخصيَّة تتعلَّق بالبيئة الاجتماعيَّة الَّتي كانت تقف عائقًا أمام تعليم المرأة وتنقُّلها، آنذاك.

ونجم عن خصوصيَّتها، واجتهادها في الطَّريق الصُّوفي " الشَّاذلي اليشرطي"، كما يذكر صاحب **تكملة جامع كرامات الأولياء**، أنَّها اختصَّت برؤية النَّبي (ﷺ) يضمُّها إلى صدره في المنام[29].

وقد وجدت السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة، فيما بعد، مَعينها الرُّوحي في مجالس التَّصوُّف والعلم، الَّتي كان يعقدها والدها الشَّيخ علي نور الدِّين اليشرطي، ومن بعده ابنه الشَّيخ إبراهيم اليشرطي، ثمَّ وريثه الشَّيخ محمَّد الهادي اليشرطي[30]، في الزَّاوية الشَّاذليَّة اليشرطيَّة

25 الفقير، بالاصطلاح الصُّوفي، هو المُريد الَّذي حقَّق مقام الفقر إلى الله تعالى.

26 اليشرطيَّة، **مسيرتي**، ص 39.

27 **م.س**، ص 39.

28 **م.س**، ص 255.

29 الطُّعمي، محيي الدِّين، **تكملة جامع كرامات الأولياء**، بيروت: دار الكتب العلميَّة، 2008، ص 38.

30 يترأَّس مشيخة الطَّريقة الشَّاذليَّة اليشرطيَّة، في الوقت الحالي، الشَّيخ أحمد محمَّد الهادي اليشرطي، وهو من مواليد عام 1928 م، ودرس العلوم السِّياسيَّة والاقتصاد في الجامعة الأمريكيَّة ببيروت سنة 1950 م، ثمَّ حصل على الدِّبلوم العالي في العلوم القانونيَّة والفقه، من معهد الدِّراسات العربيَّة العليا

في عكّاء، ثمَّ بعد ذٰلِكَ، في دمشق وبيروت. وكان يحضرها كبار علماء وفقهاء الطَّريقة، وغيرهم من المحبّين للتَّصوُّف وللطَّريقة الشَّاذليَّة اليشرطيَّة.

تصف السَّيِّدة فاطمة إقبالها على العلم والمعرفة، في مرحلة مبكِّرة، فتقول، في كتابها **رحلة إلى الحقّ**: "فلمَّا بدأ ذهني يتفتَّح على نور العلم، وكنت في السَّنة الخامسة، أصبَحَت مجالسة العلماء محبَّبة إليَّ، بل كنت أفضِّلها على اللَّعب مع أترابي الأطفال، إذ كانوا يقصُّون عليَّ قَصَصًا ممتعة لذيذة. هنالك، أمر سيِّدي الوالد،ﷺ، أن أجلس في حلقات الدُّروس الدِّينيَّة، الخاصَّة والعامَّة، مستمعة، لأفيد منها. فكنت أجلس (متربِّعة) على الأرض، بجانب والدي،ﷺ،فرحة مبتهجة بقربه. وكان يصعب، عليَّ، فهم تلك الدُّروس العالية، إلَّا أنَّ والدي،ﷺ، كان يشرح لي الشَّيء الكثير السَّهل البسيط منها، في البيت. ولطول المدَّة، بدأت أتفهَّم المعاني، والاصطلاحات، والإشارات، شيئًا فشيئًا. ونشأت، بيني وبين بعض أُولٰئِكَ العلماء الفضلاء، مودَّة وصحبة، دامت إلى ما بعد انتقال والدي،ﷺ، إلى دار البقاء، طوال أيَّام حياتهم"[31].

أمَّا عن مجالس التَّصوُّف، في رحاب الزَّاوية الشَّاذليَّة اليشرطيَّة، فتقول السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة، رحمها الله: "...هٰكَذا كانت زاويتنا. على عهد سيِّدي الوالد، ﷺ ، فقد كان جوُّ الحياة الثَّقافيَّة الرُّوحيَّة فيها، معطَّرًا بالعبادة، والأذكار، والأسرار، والأنوار، ونفحات النَّسائم القدسيَّة في الثَّقافة الإسلاميَّة الرَّفيعة، في علمي الظَّاهر والباطن، بمجالس الذِّكر، والفكر، والعلم، والأدب، والسَّماع، في عالم الوجود الصُّوفي"[32]. كما تصف ما كانت تتداوله هٰذِهِ المجالس، فتقول: "لقد كانت حَلَق التَّدريس تعقد في زاويتنا. فتقرأ دروس الفقه، والحديث، والتَّفسير، والتَّصوُّف، وغير ذٰلِكَ من علوم الشَّريعة والحقيقة، مساء كلّ يوم"[33].

وتوضِّح السَّيِّدة فاطمة أنَّ هٰذِهِ المجالس الصُّوفيَّة كانت تتوزَّع بين مجالس خاصَّة، لا يحضرها إلَّا أكابر علماء الشَّريعة وعلماء الحقيقة، من أبناء الطَّريقة وغيرهم، وبالتَّالي

التَّابع للجامعة العربيَّة، وتابع دراسة ليسانس الحقوق في جامعة القاهرة. وهو حاليًّا يقيم في العاصمة الأردنيَّة عمَّان. انظر: السَّوافطة، **المدرسة الشَّاذلية اليشرطيَّة**، ص ص 876-877.

31 اليشرطيَّة، **رحلة**، ص ص 353-354.

32 **م. س**، ص 262.

33 **م. س**، ص 263.

كانت تطرح فيها قضايا صوفيَّة وعقائديَّة متخصِّصة؛ إضافة إلى مجالس مبسَّطة، يحضرها عامَّة مُريدي الشَّيخ وغيرهم من أبناء المجتمع المتبرِّكين، من كافَّة الثَّقافات والمشارب. حيث تقول: "وكانت الزَّاوية، آنذاك، أشبه بمعهد علمي، تقصده طوائف الخلق، لا للسُّلوك وطلب المعرفة والتَّحقيق فحسب، بل للاستفادة من ذٰلِكَ الينبوع الأقدس، كلٌّ حسب ما أراد واحتاج إليه من الثَّقافة الإسلاميَّة والتَّهذيب الرُّوحي. وكانت مجالس شيخنا، ﷺ، تجمع أهل الظَّاهر والباطن من علماء وعوامَّ، ويحضرها الغني والفقير"[34].

وبمزيد من التَّفصيل، تصف السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة ما كان يحدث في هٰذِهِ المجالس، فتقول: "وكانت مجالس الذِّكر والعلم والأدب والسَّماع، عامرة بوجود شيخنا، ﷺ، يتبارى فيها إخواننا، كلٌّ حسب ثقافته، ومشربه وسيره في الطَّريق. هٰذا يشتغل بالتَّدريس، وذاك يعلِّم أمور الدِّين، أو يؤلِّف رسالة، أو يشرح كتابًا. وجماعة ينظمون الشِّعر، وبعض الملحِّنين يجتهدون بوضع ألحان جميلة للأناشيد، توافق المعنى واللَّهجة في طبقات الصَّوت في حلق الذِّكر ومجالس القوم"[35].

وقد تحدَّثت السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة عن ثمار تلك المرحلة من حياتها، وتأثير الثَّقافة الصُّوفيَّة عليها، فقالت: "كانت الزَّاوية الشَّاذليَّة اليشرطيَّة في عكَّاء، على عهد سيِّدي الوالد، قدَّس الله سرَّه، ملتقى أهل العلم والفكر والمعرفة والتَّصوُّف والأدب. ومنذ أن تفتَّحت عيناي، وجدتني أعيش مع أُولٰئِكَ الأعلام من العلماء، في حلقات الدَّرس والمذاكرة، وفي مجالس أهل العلم والفقه. فقد أنعم عليَّ والدي، وتفضَّل بتوجيهي إلى ناحية العلم والتَّصوُّف في الثَّقافة الدِّينيَّة، تلك النَّاحية الَّتي تجمع بين العلم في الشَّريعة والحقيقة؛ حتَّى إنَّه،ﷺ، أمر أن أجلس في تلك الحلقات العلميَّة الثَّقافيَّة الصُّوفيَّة، الَّتي كان يتكلَّم فيها سيِّدي الوالد، ويحضرها أُولٰئِكَ العلماء الفضلاء. فكنت أجلس، بين يديه، معهم، في التَّكيَّة[36]، لأتلقَّى عنه، وأنا في

34 **م. س**، ص ص. 262-263.

35 **م. س**، ص 273.

36 التَّكِيَّة، هي قاعة فسيحة مبنيَّة في الزَّاوية الشَّاذليَّة اليشرطيَّة في عكَّا، مخصَّصة للصَّلاة وإقامة حلقات الذِّكر والعبادة ومجالس الفقه والمذاكرة.

السَّنة الرَّابعة من عمري تقريبًا. وَهٰكَذا، كنت الأنثى الوحيدة، والطِّفلة المعتنى بها، مع أُولٰئِكَ العلماء الكبار"[37].

ومن أبرز أُولٰئِكَ العلماء الكبار والمتصوِّفة، الَّذين كانت تجتمع بهم في مجلس والدها الشَّيخ علي نور الدِّين اليشرطي، تذكر: الشَّيخ محمود أبو الشَّامات الدِّمشقي، مُقَدَّم الطَّريقة في دمشق[38]، والشَّيخ مصطفى نجا، مفتي بيروت[39]، والشَّيخ رشيد سنان، أستاذ

37 اليشرطيَّة، **مسيرتي**، ص 311.

38 محمود بن محيي الدِّين الدِّمشقي، الشَّهير بأبي الشَّامات(ت1923)، كان مُقَدَّم الطَّريقة الشَّاذليَّة اليشرطيَّة في دمشق. وقد أرسله شيخ الطَّريقة الشَّيخ علي نور الدِّين اليشرطي إلى الآستانة (إستنبول)، لأخذ البيعة من السُّلطان عبد الحميد الثَّاني، وبعض وزرائه هناك. وبعد خلع السُّلطان عبد الحميد أرسل رسالة إلى الشَّيخ أبي الشَّامات، يبيّن فيها سبب خلعه. المصدر: تقي الدِّين، **منتخبات التَّواريخ لدمشق**، ج 2، ص 796؛ وموقع **التَّاريخ السُّوري المعاصر**.

من آثاره: **الإلهامات الإلٰهيَّة على الوظيفة الشَّاذليَّة، وشرح التَّائيَّة الكبرى، المعشَّرات، عروج السَّالك، وعلم الحرم في شرح الحكم**.

39 مصطفى بن محيي الدِّين نجا: ولد في بيروت، وتوفِّي فيها. تلقَّى تعليمه عن علماء عصره؛ فحفظ القرآن الكريم، ودرس العلوم الدِّينيَّة والشَّرعيَّة والفقهيَّة والأدبيَّة، ونال إجازاته فيها، كما أخذ الطَّريقة الصُّوفيَّة الشَّاذليَّة. اشتغل بالتِّجارة أثناء دراسته، ثمَّ عيّن رئيسًا للجنة مدرسة ثمرة الإحسان للبنات، كما كان صاحب حلقة علم في الجامع العمري، ثمَّ أصبح مفتيًا للعاصمة. كان عضوًا في لجنة الأوقاف الإسلاميَّة، كما كان رئيسًا لجمعيَّة المقاصد الخيريَّة. نشط في الدَّعوة إلى الطَّريقة الشَّاذليَّة، وكان مُقَدَّمًا للطَّريقة في بيروت. من أعماله: مطوَّلة بعنوان: **مورد الصَّفا في مولد المصطفى، وكشف الأسرار لتنوير الأفكار في الطَّريقة وشرح الوظيفة الشَّاذليَّة اليشرطيَّة**، وله قصائد ضمَّنها هٰذا الكتاب. وله رسالتان في التَّربية مطبوعتان، هما: **نصيحة الإخوان بلسان الإيمان، ورسالة بمشروعيَّة الحجاب**.

نال وسام الاستحقاق الذَّهبي الأوَّل في الجمهوريَّة اللُّبنانيَّة، كما منح عشرة أوسمة أوَّلها المجيدي في الرُّتبة الثَّانية، ثمَّ ميدالية الحرب، ثمَّ ميدالية اللِّياقة الذَّهبيَّة، ثمَّ الوسام العثماني الثَّاني، وقد اعتذر عن قبول عرض الجنرال الفرنسي (غورو Henri Joseph Eugène Gouraud) (ت 1946م) بمنحه لقب مفتي دولة لبنان الكبير بدلًا من مفتي بيروت. المصدر: الدَّاعوق، كامل: **علماؤنا**، م 1، ط بيروت، 1970. و**معجم البابطين لشعراء العربيَّة**.

مدرسة (عبد الله باشا العظم)، لطلبة العلم الشَّريف في دمشق[40]، والشَّيخ عبد الله الجزَّار، مفتي عكَّاء والسَّاحل والجبل، ورئيس (المدرسة الأحمديَّة الشَّرعيَّة)[41]، والسَّيِّدة عائشة محمَّد شاهين، الَّتي تلقَّت على يديها القرآن الكريم، والشَّيخ نصوح الجابري، مُقَدَّم الطَّريقة الشَّاذليَّة اليشرطيَّة في حلب[42]، والشَّاعر الصُّوفي حسن الحكيم[43].

وقد واظبت السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة على حضور هٰذِهِ المجالس الصُّوفيَّة خارج فلسطين، في بيروت ودمشق، حيث اضطرَّت لترك عكَّاء، عدَّة مرَّات، بسبب عوامل كثيرة منها العلاج، أو اشتعال الحرب العالميَّة الأولى، تقول السَّيِّدة اليشرطيَّة، عن تواجدها في لبنان: " وفي الفترات الَّتي كنَّا نقيم خلالها في جبل لبنان، كان يجتمع في بيتنا إخواننا أبناء الطَّريقة الشَّريفة الَّذين كانوا يأتون لزيارتنا من المدن والبلدان المجاورة"[44].

40 رشيد بن عمر قزّيها، الشَّهير بـ"سنان الشَّاذلي"(ت 1905م): ولد بدمشق، كان عالمًا بارعًا وشاعرًا، غلب على شعره الحبُّ والفناء. وبرع في علم النَّحو والصَّرف والمنطق والأصول والعَروض، ثمَّ تصدَّر للتَّدريس في مدرسة عبد الله باشا العظم، ثمَّ عيّن معلّمًا في مدرسة الملك الظَّاهر لتعليم المبادئ وعلوم العربيَّة والفنون العصريَّة. المصدر: المرعشلي، **نثر الجواهر**، ص 438.

41 الشَّيخ عبد الله بن شعبان الجزَّار (ت 1939م)، أصله من مدينة الإسكندريَّة، ولا قرابة بينه وبين أحمد باشا الجزَّار الَّذي حكم عكَّا أيَّام حملة إبراهيم باشا. تخرَّج من الأزهر الشَّريف. عمل مدرّسًا وخطيبًا في جامع الأنوار (الجزَّار)، ثمَّ القاضي الشَّرعي في محكمة عكَّا. والجزَّار هو المفتي الشَّرعي الأخير في تلك المدينة، إذ لم يتولَّ بعده أحد من العلماء منصب الإفتاء الشَّرعي فيها. وهو الَّذي أمَّ المصلّين على جثمان الملك فيصل بن الحسين، ملك العراق، في حيفا. انظر: اليشرطيَّة، **رحلة**، ص 320؛ ونظير شمالي، موقع **عكَّا نت**.

42 محمَّد نصوح صِدّيق الجابري (ت 1906م)، ولد بحلب، وكان معتدل القوام حسن الوجه، فصيح العبارة، شاعرًا ألمعيًّا. انظر: الحمصي، قسطاكي **أدباء حلب ذوو الأثر في القرن التَّاسع عشر**، ص 68.

43 هو من شعراء الطَّريقة الشَّاذلية اليشرطيَّة المعدودين، في مدينة حلب، حيث نظم مجموعة من الأناشيد والموشَّحات، وبعض القصائد والقدود الصُّوفيَّة، في مدح شيخه، وتحدَّث عن سلوكه في المقامات والأحوال. كان على ثقافة عالية، كان يشغل وظيفة رفيعة، بمعيَّة الوالي العثماني، في حلب. انظر: اليشرطيَّة، **رحلة**، ص 444.

44 اليشرطيَّة، **مسيرتي** ص ص 285-،286.

أمَّا في دمشق فقد كان ما يزال، في دمشق وضواحيها، في ذٰلِكَ الوقت، آلاف من أبناء الطَّريقة الشَّريفة، منهم العلماء والأدباء والشُّعراء والفقهاء ورجال الأعمال. فكانوا لا ينقطعون عن زيارة الشَّيخ وعائلته، لمحو شعور الغربة عنهم. تقول السَّيِّدة فاطمة: " وإنّي لا أزال أذكر مجالس أخينا العارف بالله الشَّيخ علي الطَّقطاق الحرستاني، هو وبقيَّة إخواننا أبناء الطَّريقة في بلدة حرستا، عندما كانوا يتردَّدون علينا، في دمشق"[45].

ثالثًا: عصاميَّتها وحبُّها للعلم

لقد شهد العصر الَّذي عاشت فيه السَّيِّدة فاطمة اليشرطيّة (1890-1979 م) أنواعًا مختلفة من الحروب والتَّوتُّرات السِّياسيَّة في المنطقة، ففي تلك الحقبة انهارت الدَّولة العثمانيَّة، واندلعت الحربان العالميَّتان الأولى والثَّانية، وبدأت تباشير الثَّورة الفلسطينيَّة، وما سبقها من تهجير قسري للفلسطينيّين من بلادهم[46].

وقد أثَّرت هٰذِهِ الظُّروف القاسية على الوطن العربي والإسلامي، بشكل سلبي، وكانت أكثر تأثيرًا على المرأة، الَّتي افتقرت إلى الظُّروف الصِّحِّيَّة والاجتماعيَّة والعلميَّة الكافية لتطوُّرها وتعلُّمها. فحرمت المرأة من حرِّيَّة الحركة والتَّنقُّل، وقلَّت معاهد العلم المخصَّصة للنِّساء، في مناطق بعينها. إضافة إلى ضيق تفكير بعض أفراد المجتمع، آنذاك، الَّذي كان يحدُّ من حرِّيَّة المرأة، ويتدخَّل في الكثير من خصوصيَّاتها[47]. تصف السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة الضُّغوطات الَّتي كانت تتعرَّض لها المرأة في تلك المرحلة الحسَّاسة من تاريخ مجتمعنا العربي، فتقول: "وكانت المرأة يومذاك، تكتب من وراء حجاب، وتخطب وهي ساترة وجهها"[48]. لٰكِنَّ تلك الظُّروف، لم تكن عائقًا أمام بعض النِّساء، والسَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة إحداهنَّ، فسعين إلى العلم، وساهمن في رقيّ مجتمعاتهنَّ، وخدمة الإنسانيَّة بشكل عام. وتتابع بقولها: "وكانت السَّعادة تغمر قلبي ومشاعري، لأنَّ ظروفي الخاصَّة، منذ نشأتي الأولى، على يدي سيِّدي الوالد، ثمَّ بتشجيع من أخي، سيِّدي إبراهيم، ومن سيِّدتي الوالدة، قد أتاحت لي

45 **م. س** ص 290.

46 **م.س** ص 310.

47 **م.س**، ص ص 302 و310 و312.

48 **م.س**، ص 301.

الانطلاق في دنيا العلم والمجتمع، تاركةً ورائي قيود التَّزمُّت، مع بقائي ضمن المحافظة والتَّعقُّل"([49]).

وتستطرد السَّيِّدة فاطمة في الحديث عن تلك الظُّروف: "...كانت الأعوام الَّتي تلت تلك الحرب العالميَّة الأولى، كفيلة بأن تفتح أعين النَّاس وبصائرهم، لمعرفة حقائق الأمور الَّتي تمرُّ بهم. فقد قامت الثَّورة في مصر، على عهد سعد زغلول؛ ثمَّ كانت الثَّورة في دمشق وباقي الأنحاء السُّوريَّة؛ كما اندلعت الثَّورات في فلسطين. وَلِهذا، لم نكن نشعر بالاستقرار، أينما كنَّا؛ وظهرت الحاجة إلى الظُّهور النِّسائي، وإلى أن تساهم المرأة العربيَّة في تنظيم المجتمع العربي والتَّخطيط له"[50].

وقد استفادت السَّيِّدة اليشرطيَّة من تشجيع والتفاف علماء الطَّريقة الشَّاذليَّة اليشرطيَّة من حولها، فبدأت تعلِّم ذاتها بذاتها، تقول: "ففي طفولتي الأولى، في أثناء حياة سيِّدي الوالد، قدَّس الله سرَّه، تلقَّيت من والدي الدَّعم والتَّوجيه والتَّشريع في محبَّة العلم والتَّفقُّه. وبعد انتقاله،ﷺ، إلى الدَّار الآخرة، وجدت نفسي أمام الأمر الواقع، فاستمددت القوَّة من ذٰلِكَ الدَّعم والتَّوجيه، وانصرفت إلى تثقيف نفسي، بالمطالعة والدِّراسة الذَّاتيَّة"[51]. وقد بدأت بتعلُّم القرآن الكريم، في زمن والدها، إذ أشرفت على تعليمها المقرئة السَّيِّدة عائشة ابنة الشَّيخ محمَّد شاهين، أحد علماء الدِّين في القاهرة[52].

ولا ننسى طبعًا، ما توفَّر للسَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة من قوَّة شخصيَّة، ومحبَّة للعلم، حيث تصف نفسها بقولها: "كنت، دائمًا، مجتهدة نشيطة، منذ طفولتي، أعتمد على نفسي، بعد الاعتماد على الله،ﷻ "[53]. ثمَّ تصف بداية تعلُّمها القراءة والكتابة، فتقول: "لست أدري في أيِّ وقت، من عمري، تعلَّمت الكتابة ولا أعرف أنِّي جلست أمام أحد أتعلَّم منه ذٰلِكَ. ولا أذكر، بالضَّبط، متى حملت القلم لأكتب. وكلُّ ما أذكره هو أنَّني كنت أرغب في تعلُّم الكتابة، منذ بدأت أفهم حقائق الأشياء".

---

[49] **م.س**، ص 301.

[50] **م.س**، ص 302.

[51] **م.س**، ص 219.

[52] **م.س**، ص 247.

[53] **م.س**، ص 249.

"إلَّا أنَّه، بعد انتقال سيِّدي الوالد إلى الدَّار الآخرة، كنت أرى الحاجَّ سليم بليق يكتب بعض الرَّسائل إلى أهله وذويه. وكثيرًا ما كنت آخذ رسالة من رسائله تلك، وأضع فوقها ورقًا رقيقًا، أرسم عليه ما كتبه في رسالته. وكان يراني وأنا أفعل ذٰلِكَ. وبعد بضعة أسابيع، قال لي:

- ماذا تفعلين، يا سيِّدتي؟ فقلت له :
- أرسم الكلمة فوق الورق الرَّقيق .إنَّني ألعب بها. فقال:
- وهل بإمكانك أن تفهمي معنى الكلمة الَّتي ترسمينها؟ فقلت:
- نعم . وهل نسيت أنَّي ختمت القرآن الكريم، وأحفظ بعض الآيات غيبًا؟! فقال:
- إذن اقرئي ما كتبته. فقرأت. فقال:
- سأكتب لك سطرًا أمامك، لتكتبي مثله.

فحاولت، وإذا أنا أكتب السَّطر، بدون الورق الرَّقيق. ثمَّ، داوم الحاجُّ سليم على تعليمي الكتابة، بِهٰذِهِ الطَّريقة"[54].

وفيما بعد أشرف الشَّيخ عبد الله الجزَّار، مفتي عكَّا، على تعليمها بنفسه[55]. وَهٰذا أمر ذو أهمِّيَّة خاصَّة، بحسب المكانة العلميَّة والصُّوفيَّة الَّتي يتبوَّأها الشَّيخ الجزَّار. فهو، كما تتحدَّث السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة نفسها، رفض أن يرسل لها أحد تلاميذه، لتتلقَّى عنه دروس اللُّغة والنَّحو والصَّرف، فأصرَّ" أن يأتي إليَّ بنفسه لأتلقَّى عنه تلك العلوم، مباشرة. وقد رجوته ألَّا يفعل ذٰلِكَ، لكبر سنِّه، وأعربت له عن استعدادي لأن أذهب إليه في بيته، لأتلقَّى العلم عنه. فقال لي: هٰذا لن يكون أبدًا، لو كنتِ في بلاد الهند، وطلبتني، لذهبت إليكِ هناك مشيًا على الأقدام. فأنت ابنة شيخي ومرشدي إلى الله، سبحانه وتعالى... وقد قرأت عليه كتاب **شرح الكفراوي** في مدَّة شهرين ونصف".

[54] **م.س**، ص 268.

[55] **م.س**، ص 271.

"ولا يفوتني أن أذكر أنَّ الشَّيخ الجزَّار كان يصعد السُّلم إلى بيتنا الواقع في الدَّور الثَّالث، دون أن يشعر بتعب أو إرهاق، بل، إنَّه كان يشعر بالسَّعادة والرَّاحة، ويفخر بما أبديته أمامه من اجتهاد"[56].

ومن الحريِّ بنا أن نذكر أنَّ السَّيِّدة فاطمة قد تعرَّضت لعارض صحي، لازمها بضع سنوات، وكان هٰذا العارض، من جانب أوَّلي، عاملًا سلبيًّا أثَّر على صحَّتها، لٰكِنَّهُ كان عاملًا إيجابيًّا، من حيث إتاحته الفرصة لها للسَّفر والتَّنقُّل بين فلسطين وسوريا ولبنان ومصر، ممَّا فتح أمامها أبوابَ كثيرٍ من اللِّقاءات الثَّقافيَّة والعلميَّة، وحضور كثير من النَّدوات والجلسات الفكريَّة والفنِّيَّة.

فها هي تقول في كتابها **مسيرتي في طريق الحقِّ**: "ما إن استعدت صحَّتي، واستقام عودي، بعد مرض الرَّبو الَّذي أصابني، وبقيت أعاني منه عشر سنوات، إثر انتقال سيِّدي الوالد إلى جوار ربِّه، حتَّى بدأنا برنامجًا جديدًا لحياتنا؛ فإنَّ الأطبَّاء قد أشاروا عليَّ خصوصًا،

[56] وقد أسهبت السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة في الحديث عن الشَّيخ عبد الله الجزَّار، فقالت إنَّه كان من كبار أهالي مدينة عكَّا وعلمائها، المشهود لهم بالتَّعمُّق وغزارة العلم. إذ شغل منصب مفتي عكَّا والسَّاحل والجبل، ورئيس (المدرسة الأحمديَّة الشَّرعيَّة)؛ وهو، كما نبغ في العلم بالشَّريعة، كَذٰلِكَ كان من الأعلام المرموقين، بصوفيَّته وزهده وورعه وما حصل عليه من معارف إلٰهيَّة، "فقد منَّ الله، ﷻ، عليه بفتح مبين، في علمي الشَّريعة والحقيقة. وذكرت أنَّه في مطلع شبابه، أخذ الطَّريقة الشَّاذليَّة اليشرطيَّة الشَّريفة من يد والدها الشَّيخ علي نور الدِّين اليشرطي، وسلك فيها سبيل التُّقى والهمَّة. وقد وهبه الله، ﷻ، صوتًا جميلًا، وكان يحسن الأداء. لذا، كان في ابتداء أمره، في الطَّريقة، منشدًا في الزَّاوية. وقد رأى الشَّيخ فيه القابل والاستعداد، والذَّكاء والفطنة، والفصاحة والمقدرة. فأرسله إلى الأزهر الشَّريف، ليتلقَّى، هناك، مختلف العلوم الفقهيَّة. وقد نبغ وأصبح بعد عودته إلى عكَّاء من كبار العلماء الأعلام، الَّذين يشار إليهم بالبنان ويسْتفتونه في أمَّهات المسائل الدِّينيَّة.

ثمَّ أقامه الشَّيخ مُقَدَّمًا على المُريدين في الزَّاوية، في مدينة عكَّا، وأذن له بإعطاء الطَّريقة لمن يراه أهلًا لها. وكانت وصيَّة الشَّيخ علي نور الدِّين اليشرطي، قبل انتقاله، لوريثه الشَّيخ إبراهيم اليشرطي، وللمُريدين جميعًا" الشَّيخ عبد الله الجزَّار مُقَدَّمُكُمْ إلى أن يموت". انظر: اليشرطيَّة، **رحلة**، ص ص 253-254 و**مسيرتي**، ص ص 270-272.

بضرورة التَّنقُّل بين البلدان والمدن المختلفة، ما بين السَّاحل والدَّاخل، والمنخفضات والمرتفعات، بقصد تغيير الهواء" [57].

كما تتحدَّث عن منافع بعض تلك الزِّيارات والرِّحلات، فتقول: "سافرنا إلى مدينة بيروت، في أوائل سنة ألف وتسعماية وخمس وثلاثين ميلاديَّة، واستأجرنا فيها بيتًا، لأكون تحت إشراف ومراقبة الأطبَّاء المتخصِّصين هناك، وفي مقدِّمتهم الدُّكتور يوسف حِتِّي[58]. ولقد عرفت الدُّكتور يوسف حِتِّي طبيبًا، ثمَّ أخًا في الإنسانيَّة، وصديقًا مخلصًا، وقد أثبت ذٰلِكَ، بعد النَّكبة الَّتي أصابتنا بالهجرة من بلادنا، فلم ينقطع عن زيارتنا ومعالجتنا. والدُّكتور يوسف حِتِّي هو شقيق العلَّامة الكبير والمؤرِّخ المعروف، والأستاذ في جامعة برينستون، الدُّكتور فيليب حِتِّي[59]. وقد اجتمعت بالدُّكتور فيليب، أكثر من مرَّة"[60].

وَهٰكَذا، واظبت على حضور مجالس العلم والثَّقافة، حتَّى صارت من أهمِّ الكتَّاب ومراجع العلم الصُّوفي، في زمانها. فقد قامت بتأريخ سيرة والدها الشَّيخ والقطب الكبير، والكتابة والبحث عن دوره في نشر الإسلام والطَّريقة الصُّوفيَّة الشَّاذليَّة اليشرطيَّة، في الشَّرق والغرب.

---

[57] **م. س**، ص 276.

[58] الدُّكتور يوسف حِتِّي (ت 1989م) طبيب وسياسي لبناني عُرِف بنشاطه الاجتماعي والتَّربوي والثَّقافي، له مؤلَّف نفيس، في الطِّبِّ اسمه **قاموس حِتِّي الطِّبِّي**. المصدر: موقع **ويكيبيديا**.

[59] فيليب حِتِّي (ت 1978م) مؤرِّخ العرب والحضارة الإسلاميَّة اللُّبناني. ولد فيليب حِتِّي في بلدة شملان التَّابعة لمحافظة جبل لبنان. والتحق بالجامعة الأمريكيَّة في بيروت، وحصل منها على شهادة البكالوريوس في العلوم سنة (1326 هـ/1908م)، ثمَّ التحق بجامعة كولومبيا في أمريكا، وحصل منها على درجة الدُّكتوراه سنة (1915م) وتقديرًا لنبوغه عيَّنته الجامعة مدرِّسًا في قسم الدِّراسات الشَّرقيَّة، وظلَّ يعمل بها أربع سنوات، وعمل أستاذًا زائرًا في جامعة (هارفارد).

ثمَّ استدعي من قبل جامعة (برنستون) لتأسيس قسم لدراسات الشَّرق الأدنى، فأقام مركزًا للدِّراسات العربيَّة وأنشأ مكتبة عربيَّة إسلاميَّة في الجامعة تعنى بجمع المخطوطات والوثائق العربيَّة ونشرها.

من أبرز مؤلَّفاته: **تاريخ العرب**، و**تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**.

[60] اليشرطيَّة، **مسيرتي**، ص ص 246-247.

وقد تركت السَّيِّدة فاطمة خمسة من المؤلَّفات الهامَّة لكلِّ باحث في التَّصوُّف، وفي الطَّريقة الشَّاذليَّة اليشرطيَّة، هي:

1. **رحلة إلى الحق**، طبع في بيروت عام 1954م، وأعيدت طباعته عدَّة مرَّات كان آخرها عام 1997م. ويبحث الكتاب في ماهية التَّصوُّف وأركانه ومسائله، ثمَّ بيان مفصَّل عن الطَّريقة الشَّاذليَّة اليشرطيَّة وأسسها وأصولها وقواعدها، ثمَّ تأريخ لحياة مؤسِّس الطَّريقة الشَّاذليَّة اليشرطيَّة، والدها الشَّيخ علي نور الدِّين اليشرطي.
2. **نفحات الحقِّ**، طبع في بيروت عام 1962م وأعيدت طباعته عدة مرات، كان آخرها عام 1997م. وفيه بحوث لبعض المواضيع الصُّوفيَّة، ثمَّ جمعت فيه أحاديث مؤسِّس الطَّريقة، الشَّيخ علي نور الدِّين اليشرطي، وتوجيهاته لأبناء الطَّريقة ومُريديها.
3. **تلاوة الأوراد وإقامة الأذكار في الطَّريقة الشَّاذليَّة اليشرطيَّة**، طبع عام 1962م، وفيه، كما هو واضح من عنوانه، شرح لأهمِّ الأوراد والأذكار الَّتي يردِّدها أبناء الطَّريقة الشَّاذليَّة اليشرطيَّة، وما يصحبها من آداب.
4. **مواهب الحقِّ**، طبع في بيروت عام 1965م، وأعيدت طباعته عدَّة مرَّات، كان آخرها عام 1997م. ويتناول مسألة الكرامة الصُّوفيَّة، وتسجيلًا لبعض تلك الكرامات الَّتي ظهرت على والدها الشَّيخ علي نور الدِّين اليشرطي.
5. **مسيرتي في طريق الحقِّ**، انتهت من وضعه عام 1978م، لٰكِنَّها لم تشرف على طباعته، لاستحقاق الأجل، فقام شيخ الطَّريقة الحالي الشَّيخ أحمد الهادي اليشرطي، بإصدار الكتاب في طبعتين، كانت أخراهما عام 1997م. ويتكوَّن الكتاب من ثلاثة أقسام:

   - الأوَّل، فيه بحوث صوفيَّة متعدِّدة ومتنوِّعة؛
   - والثَّاني، عن الأجواء والظُّروف الَّتي أحاطت بالمؤلِّفة وساعدتها على تكوين شخصيَّتها؛
   - والثَّالث يتناول حياتها، في جميع مراحلها، وتأثير التَّصوُّف عليها.

رابعًا: شخصيَّتها وعقليَّتها

يتَّضح من خلال ما صوَّرته لنا السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة عن بداياتها مع العلم والتَّعلُّم، أنَّها كانت شخصيَّة استثنائيَّة، استفادت من كافَّة الظُّروف الَّتي حولها، لتثقيف نفسها، وحتَّى يكون لها دور في الأحداث من حولها.

فهي تقول بشيء من الامتنان: "ولمَّا كبرت، بدأت أستقبل الشَّخصيَّات المعروفة في ذٰلِكَ الوقت، سواء أكان ذٰلِكَ في مجال العلم أو الفقه أو الأدب... وكان ذٰلِكَ باطِّلاع أخي، سيِّدي إبراهيم ومعرفته، فلم يعترض سبيلي، ولم يمنعني؛ وإنَّما، على العكس، كان يشجِّعني ويؤازرني، ويفخر بي" [61].

كما تروي الكاتبة المتصوِّفة قصَّة أخرى تظهر دعم أخيها الشَّيخ إبراهيم اليشرطي لها، في حياتها العلميَّة، وإشاعته لأجواء الحرِّيَّة والتَّسامح من حولها، فتقول: "وفي أثناء الحرب العالميَّة الأولى... طلبت من أخي أن نسافر إلى المناطق الدَّاخليَّة من البلاد. فوافق... وقضينا فترة الحرب المذكورة في دمشق" [62].

ونزلت السَّيِّدة فاطمة في حيِّ القنوات بزاوية والدها الشَّيخ علي نور الدِّين اليشرطي، الَّتي تعرف بزاوية (البلطجيَّة)، وكان الشَّيخ محمود أبو الشَّامات مُقَدَّمًا فيها مأذونًا من والدها. ثمَّ انتقلت إلى بيت استأجرته في حيِّ (السَّنجقدار)، ثمَّ إلى غيره، وأينما حلَّت كانت الأسرة موضع احترام وإعزاز، إكرامًا لمكانة والدها الشَّيخ علي[63].

ثمَّ تتابع السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة حديثها عن نتائج رحلتها تلك، فتقول: "تعرَّفت على عدد من العلماء والأدباء؛ كما كنت أستقبل الرِّجال من أهالي عكَّاء، الَّذين كانوا يتنقَّلون ما بين المدينتين، لأعمالهم الخاصَّة... وكنت، في ذٰلِكَ الوقت، قد ناهزت العشرين ربيعًا من عمري. وبطبيعة الحال، كنت أقابل أُولٰئِكَ الرجال، من العلماء أو الأدباء أو أهالي عكَّاء المقيمين في دمشق، وأنا متسترة بكامل الحجاب؛ بما في ذٰلِكَ رأسي ووجهي ويداي وقدماي، بحيث لم يكن يظهر منِّي أيُّ جزء على الإطلاق.

---

[61] **م.س**، ص 219.

[62] **م.س**، ص ص 218-220.

[63] الحافظ، محمَّد مطيع، وأباظة، نزار، **تاريخ علماء دمشق في القرن الرَّابع عشر الهجري**، ج 2، دمشق، دار الفكر، 1986، ص 954؛ والمرعشلي، **نثر الجواهر**، ص ص 961-962.

"وبعد أن وضعت الحرب المذكورة أوزارها، عدنا إلى عكّاء. فاعتزم علماء المدينة ووجهاؤها زيارتنا، لتهنئتنا بسلامة العودة. فوافق أخي، وأرسل إليَّ يخبرني بِذٰلِكَ. ولمَّا حضروا إلى الزَّاوية، استقبلهم، وصعد معهم إلى بيتنا، وتركهم في الصَّالة، ودخل غرفتي، لينبّئني بوصولهم. فرآني أستعد، لارتداء الحجاب الكامل الَّذي أشرت إليه. فاستغرب منّي ذٰلِكَ، وقال لي بجدّيَّة، قلَّما عهدتها فيه من قبل:

- أهٰكذا كنت تقابلينهم هناك؟ قلت:
- نعم. قال:
- ألست واثقة من نفسك؟! ألست ابنة علي نور الدِّين؟! إنَّك أكبر بكثير من هٰذا الَّذي تفعلين. فقلت له:
- كنت أقابلهم هٰكَذا، لأنَّني في مطلع الصِّبا، ولأنَّني خشيت من غضبك. فقال:
- يكفي أن تضعي عليك السِّتار الشَّرعي، فقط... ففعلت كما طلب منّي، وخرجت معه لمقابلة الزُّوَّار المهنّئين. ولمَّا دخلنا عليهم، قال لهم:
- هٰذِهِ أختي فاطمة. لي بها كلُّ الثِّقة، وبلا حدود. وهي أختي وابنة شيخي. وقد تربَّت على يد المرشد الكامل. وإنَّما كانت تقابلكم في دمشق، على الشَّكل الَّذي فعلت، لأنَّها أبت أن تُحدث أمرًا، دون استئذاني، وأنا بعيد عنها. تفضَّلوا، واجلسوا" [64].

وتحدّثنا الأديبة أسمى طوبي[65] عن تفتُّح عقل السَّيّدة اليشرطيَّة، وجوّ التَّسامح والحرّيَّة الَّذي كانت تؤمن به، فتقول: "وفي عصر التَّحجُّب، لم تتحجَّب إلَّا خارج المنزل، أمَّا

[64] اليشرطيَّة، **مسيرتي**، ص ص 218-220.

[65] أسمى رزق طوبي (ت1983م): شاعرة وكاتبة فلسطينيَّة، عاشت معظم حياتها في لبنان وتوفّيت فيه. تعتبر من روَّاد كتَّاب المسرح الفلسطيني. واهتمت بقضايا المرأة وشاركت وأسَّست حركات وطنيَّة ضدَّ الاحتلال، وأذيع لها الكثير من البرامج الإذاعيَّة على الأثير. وحرَّرت في العديد من المجلَّات والجرائد، ونشر لها مؤلَّفات ومترجمات وديوان شعر وكتب بالإنجليزيَّة. وساعدت في الحركة الوطنيَّة الفلسطينيَّة وجمعت تبرُّعات لها.

من أهمّ أعمالها: ديوان **حبّي الكبير**، ومسرحيَّات: **صبر وفرج**، **ونساء وأسرار**، ومن كتبها: **عبير ومجد**، **ونفحات عطر**.

في داخله، فقد كان مجلسها يكتظُّ دائمًا بكبار العلماء والأدباء أمثال...عبَّاس أفندي البهائي[66] والشَّيخ أسعد الشُّقيري[67].. والدُّكتور عبد الرَّحمٰن الشَّهبندر[68]، والشَّيخ محمَّد التَّفتازاني الغنيمي، شيخ الطَّريقة الغنيميَّة في مصر، الفقيه الصُّوفي المجدِّد والأديب الشَّاعر المفكِّر[69]... وَكَذٰلِكَ الأستاذ نصوح الجابري من أعيان علماء الشَّرع في حلب، والشَّاعر حسن الحكيم وغيرهم"[70].

كما كتبت الأديبة طوبي في مجلَّة (الآداب)، تُعَرِّف بالسَّيِّدة اليشرطيَّة، وبكتابها **رحلة إلى الحقّ**، فقالت: " عرفتها فعرفت أديبة ولدت وفي روحها نزعة إلى الأدب... وفي نفسها شوق لمعاشرة أهله... وجالستها، وامتزجت بها أعوامًا، فلمست ظمأ إلى البحث لا يرتوي، وشعرت

---

[66] عبَّاس عبد البهاء بن حسين علي نوري، الملقَّب بالبهاء (ت 1921م). رئيس الطَّائفة البهائيَّة. ولد بطهران، ثمَّ نفي إلى قلعة عكَّا، ومنها انتقل إلى حيفا، حيث تبعه خلق كثيرون، في فلسطين وأوروبَّا وأميركا. له آثار بالعربيَّة والفارسيَّة منها: مجموعة رسائل، سمَّاها **مكاتيب عبد البهاء، والخطابات**. انظر: الزِّرِكْلي، خير الدِّين، **الأعلام**، ج 4، ص 34.

[67] أسعد الشُّقيري، (ت 1940م)، عالم أزهري، من مدينة عكَّا، عيّن مفتيًا للجيش العثماني، ورئيسًا للجنة التَّدقيقات الشَّرعيَّة، كما عيّن عضوًا في البرلمان التُّركي(المبعوثان). وهو والد المحامي أحمد الشُّقيري، أوَّل رئيس لمنظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة.

[68] عبد الرَّحمٰن بن صالح الشَّهبندر (ت 1940م)، من رجال الطِّبّ والسِّياسة والثَّقافة. ولد بدمشق، ودرس في الجامعة الأمريكيَّة ببيروت، وعيّن فيها مدرِّسًا وطبيبًا. ثمَّ عاد إلى دمشق، واتَّصل بأحرار التُّرك، ثمَّ عمل بعد الانقلاب العثماني على تأسيس الجمعيَّات العربيَّة الحرَّة. ولمَّا احتلَّ الفرنسيُّون سوريَّة قام بتنظيم أعمال المقاومة، فاعتقل وأبعد، لٰكِنَّهُ ظلَّ نشيطًا في العمل السِّياسي، حتَّى شارك في الثَّورة السُّوريَّة سنة 1925. إلى أن قتل بدمشق. له قصائد شعريّة وكتب من أهمّها: **الثَّورة السُّوريَّة، والقضايا الاجتماعيَّة الكبرى في العالم العربي**.

[69] محمَّد بن محمَّد الغنيمي: (ت 1936م) كاتب وشاعر وخطيب ومتصوِّف مصري. عُرِف بميوله القوميَّة العربيَّة. أنشأ مجلَّة "البشائر" الصُّوفيَّة، ونشر المقالات في العديد من الصُّحف المصريَّة، كما قام بتأليف وترجمة عدد من الكتب، من أهمّها: **منظومة السَّادة الغنيميَّة**، مجموعة قصائد، **مذكِّرات سياسيَّة عن المسألة المصريَّة**، **تاريخ مصر الحديث** لإدوار لين (مترجم عن الإنجليزيَّة).

[70] **موقع القدس للثَّقافة والتُّراث**:

http://alqudslana.com/index.php?action=individual_details&id=2134

بأنَّني أمام مخلوقة ناضجة، إذا تكلَّمت أقنعت، وإذا حاجَّتْ، سمعتَ الرَّأيَ القويَّ الَّذي صقله التَّفكير المتواصل. تلك هي الآنسة الشَّريفة فاطمة اليشرطيَّة".

"لقد قرأت كتابها **رحلة إلى الحقّ**، فوجدتني كأنَّني أمام مخلوق غريب في عالم الصَّخب والمادَّة. مخلوق أبيض الثَّوب، ذي جناحين يحلِّق بهما وبي إلى علٍ، فأعيش ساعات في دنيا كلّها ورع وتقوى، تنسيني ما حولي من مشاكل الحياة".

"تبتدئ المؤلِّفة كتابها عن الصُّوفيَّة والمتصوِّفين، فتشرح لك التَّصوُّف كما عرفه أئمَّتهم، وتخبرك بما أجمعوا عليه ممَّا ذكره السُّيوطي في مؤلَّفاته، ثمَّ تستعرض آراء الغزالي وابن الفارض وابن عربي الأندلسي وغيرهم من كبار علمائه. فتلمس أنَّك أمام أديبة عميقة البحث. غاصت في خزانات الأدب، قرأت كلَّ ما ألَّفه المؤلِّفون بالعربيَّة عن هٰذا الموضوع، وكلَّ ما ترجم إليها من مؤلَّفات كبار المستشرقين أمثال لويس ماسينيون[71]

[71] لويس ماسينيون Louis Massignon :(ت 1962م) مستشرق فرنسي عشق الشَّرق ورأى في التَّصوُّف الإسلامي الَّذي تمثَّل له في «الحلَّاج» مناجاة إلٰهيَّة موجودة في كلِّ المِلل والنِّحل والأديان. درس الفلسفة والأدب وحصل على الإجازة عام 1902م، ثمَّ تقدَّم ببحث عن بلاد المغرب بعد زيارة لها، ونال دبلوم الدِّراسات العليا عام 1904م. تابع دراسته للحصول على دبلوم اللُّغة العربيَّة (الفصحى والعامِّيَّة) من المدرسة الوطنيَّة للُّغات الشَّرقية عام 1906م. وتعلَّم أيضًا التُّركيَّة والفارسيَّة والألمانيَّة والإنكليزيَّة. عُني بالآثار الإسلاميَّة والتحق بالمعهد الفرنسي للآثار الشَّرقيَّة في القاهرة.

اتَّهمته السُّلطات العثمانيَّة بالجاسوسيَّة والتَّآمر على السُّلطة، وهمَّت بإعدامه لولا تدخُّل العلَّامة محمود شكري الألوسي. عاد إلى القاهرة 1909م، واستمع إلى دروس الأزهر بالزِّيِّ الأزهري، وانتدبته الجامعة المصريَّة أستاذًا لتاريخ الفلسفة (1912- 1913م)، وألقى بالعربيَّة نحو أربعين محاضرة حول **التَّكوين التَّاريخي للاصطلاحات الفلسفيَّة**. ثمَّ عُيِّن مستشارًا في وزارة المستعمرات الفرنسيَّة في شؤون شمالي إفريقيا. واستُخدم مترجمًا تحت تصرُّف الخارجيَّة الفرنسيَّة، ومساعدًا للمندوب السَّامي الفرنسي في سوريَّة وفلسطين.

وتلقى أعماله الأدبيَّة العديدة الَّتي أحيت كثيرًا من التُّراث العربي والإسلامي تقدير كثير من الشَّرقيِّين واحترامهم، حيث أظهرت تعاطفه مع العرب والمسلمين. وكان قد حصل عام 1922م- بعد دراسة مستفيضة- على الدُّكتوراه برسالة عن **آلام الحلَّاج، شهيد الإسلام الصُّوفي**، تبعها برسالة بعنوان **المفردات التِّقنيَّة للصُّوفيَّة الإسلاميَّة**.

ومرجريت سميث[72] وغيرهم".

"ثمَّ تخلص المؤلّفة إلى التَّحدُّث عن والدها العظيم رأس الطَّريقة الشَّاذليَّة في عكَّاء، فاذا بك أمام مؤرِّخة لا تنسى كبيرة أو صغيرة من موضوعها، وإذا بالشُّعور بالواجب يحرِّك قلمها، فيخرج ما تكتب قطعة من الأدب العاطفي الرُّوحاني الرَّفيع"[73].

لقد اكتسبت الباحثة والمتصوِّفة اليشرطيَّة شهرة كبيرة، تقديرًا لفكرها وللمكانة الَّتي تبوَّأتها في مجتمعها، آنذاك. فلمَّا ذاع صيتها بعد كتابة مؤلَّفها الأوَّل **رحلة إلى الحقّ**، والَّذي أرَّخت فيه لسيرة والدها القطب علي نور الدِّين اليشرطي، واستعرضت لمبادئه الصُّوفيَّة وأخلاقه، كما أرَّخت لمن حوله من رجالات وعلماء الطَّريقة الشَّاذليَّة اليشرطيَّة، سعى كثير من المفكِّرين وعلماء العصر للقائها، وحضور جلساتها العلميَّة. وقد ساعدها في ذٰلِكَ، جوُّ الحرِّيَّة والتَّسامح الَّذي كان يشيعه من حولها أخوها الشَّيخ إبراهيم بن علي اليشرطي، وريث

عندما عاد إلى باريس عُيِّن معيدًا في كرسي علم الاجتماع الإسلامي في المجمع الفرنسي «كوليج دي فرانس» Collège de France (1919- 1924م)، ثمَّ أستاذ كرسي، ومديرًا للمدرسة التَّطبيقيَّة للدِّراسات العليا (العلوم الدِّينيَّة) École pratique des Hautes Études-sciences religieuses حتَّى تقاعده عام م1954. كما تولَّى تحرير مجلَّة «العالم الإسلامي» ثمَّ مجلَّة «الدِّراسات الإسلاميَّة» الَّتي حلَّت محلَّها، و«تقويم العالم الإسلامي» التَّابع لها.

بلغت مؤلَّفات ماسينيون أكثر من مئتي كتاب ومقالة، يُذكر منها: **عالم الإسلام**، **والكنيسة الكاثوليكيَّة والإسلام**. ومن مقالاته: **تاريخ العقائد الفلسفيَّة العربيَّة في جامعة القاهرة والدِّراسات الإسلاميَّة في إسبانيا وأصول عقيدة الوهَّابيَّة وفهرس بمصنَّفات مؤسِّسها**، **وأساليب تطبيق الفنون لدى شعوب الإسلام**. صدرت كلُّها في مجلَّة «العالم الإسلامي». كما كتب **حال الإسلام اليوم** في مجلَّة «باريس»، **والتَّصوُّف الإسلامي والتَّصوُّف المسيحي في العصر الوسيط**. ونشر له المعهد الفرنسي بالقاهرة **فلسفة ابن سينا وألفباؤه الفلسفيَّة**. المصدر: موقع **المعرفة**.

[72] مرجريت سميث Margaret Smith (ت 1970م) مستشرقة بريطانيَّة، درست التَّصوُّف على خطى المستشرق نيكلسون. زارت دور الكتب في القاهرة والقدس ودمشق وإستانبول. من آثارها: كتاب عن **متصوِّف بغداد: المحاسبي**، ونشرت في مجلَّة الجمعيَّة الملكيَّة الآسيويَّة: **المحاسبي رائد الغزالي**. موقع **ويكيبيديا**.

[73] أسمى طوبي، **مجلَّة الآداب**، العدد 2، 1 فبراير 1955م، ص 38.

مشيخة الطَّريقة الشَّاذليَّة اليشرطيَّة. كما كان لرحلاتها المتكرِّرة دور كبير في تنوُّع علاقاتها ومعارفها من رجال المجتمع والثَّقافة والعلم.

وفيما بعد، صار بيتها مزارًا يحجُّ إليه كبار رجال العلم والفكر والتَّصوُّف، أمثال: الشَّيخ عبد الحليم محمود، وزير الأوقاف ثمَّ شيخ الأزهر، في مصر[74]، والشَّيخ محمد الغنيمي التَّفتازاني، شيخ الطَّريقة الشَّاذليَّة الغنيميَّة في مصر، وولده الدُّكتور أبو الوفا التَّفتازاني، شيخ مشائخ الطُّرق الصُّوفيَّة في مصر[75]، والأديبة المعروفة ميّ زيادة[76]، والطَّبيب والمؤلِّف

[74] الشَّيخ عبد الحليم محمود (ت 1978م)، التحق بالأزهر، وحصل على الشِّهادة العالميَّة سنة (1932م)، ثمَّ سافر على نفقته الخاصَّة لاستكمال تعليمه العالي في باريس، وحصل على درجة الدُّكتوراه في الفلسفة الإسلاميَّة عن الحارث المحاسبي. بعد عودته عمل مدرِّسًا لعلم النَّفس بكلِّيَّة اللُّغة العربيَّة بكلِّيَّات الأزهر فعميدًا لكلِّيَّة أصول الدِّين، ثمَّ تولَّى أمانة مجمع البحوث الإسلاميَّة، وتولَّى وزارة الأوقاف، ثمَّ مشيخة الأزهر في الفترة بين عامي 1973 و1978م.

للشَّيخ أكثر من 60 مؤلَّفًا في التَّصوُّف والفلسفة، بعضها بالفرنسيَّة، من أشهر كتبه: **أوروبَّا والإسلام، والتَّوحيد الخالص، والتَّفكير الفلسفي في الإسلام، والمدرسة الشَّاذليَّة الحديثة وإمامها أبو الحسن الشَّاذلي**.

[75] محمَّد أبو الوفا التَّفتازاني (ت 1994م) فيلسوف مصري، وشيخ مشايخ الطُّرق الصُّوفيَّة في مصر في الفترة من 1983 إلى 1994م. التحق بكلِّيَّة الآداب - جامعة القاهرة (قسم الفلسفة) عام 1946م، ثمَّ حصل على درجة الدُّكتوراه في الفلسفة الإسلاميَّة.

عمل مدرِّسًا بمدرسة فؤاد الأوَّل الثَّانويَّة بالعبَّاسيَّة، ثمَّ معيدًا فمدرِّسًا بقسم الفلسفة بكلِّيَّة الآداب، وفي أثناء عمله معيدًا ندب مدرِّسًا في معهد الدِّراسات الإسلاميَّة بمونتريال في كندا لمدَّة عام، كما شغل منصب نائب رئيس جامعة القاهرة، فرع الفيُّوم وبني سويف، ونائب رئيس جامعة القاهرة لشؤون فرع الفيُّوم، ثمَّ نائب رئيس جامعة القاهرة لشئون الدِّراسات العليا والبحوث. منح جائزة الدَّولة التَّقديريَّة في العلوم الاجتماعيَّة عام 1985م.

أهمُّ أعماله: **ابن عطاء الله السَّكندري وتصوُّفه، ابن سبعين وفلسفته الصُّوفيَّة، ابن عبَّاد الرَّندي (حياته ومؤلَّفاته)، مدخل إلى التَّصوُّف الإسلامي، الإسلام والفكر الوجودي المعاصر**.

[76] ميّ زيادة (ت1941م) أديبة وكاتبة فلسطينيَّة- لبنانيَّة، وُلدت وأتمَّت دراستها الابتدائيَّة في النَّاصرة، والثَّانويَّة في (عينطورة) بلبنان. انتقلت مع أسرتها للإقامة في القاهرة. فتابعت دراساتها في الأدب العربي والتَّاريخ

الشَّهير يوسف حِتّي، وأخوه المؤرِّخ، الدُّكتور فيليب حِتّي، والمستشرقة والمؤرِّخة الصُّوفيَّة الدُّكتورة مرجريت سميث، ود. ستيفان فيلد، رئيس المعهد الألماني في بيروت[77]، ود. يوسف سن، أستاذ جامعة (أينشتاين) في ألمانيا، والأب بول نواييه، عميد كلِّيَّة الفلسفة والآداب في الجامعة اليسوعيَّة في بيروت، ود. سيِّد حسين نصر[78] ، أستاذ الفلسفة في الجامعة

الإسلامي والفلسفة في جامعة القاهرة. أتقنت تسع لغات، وَلٰكِنْ معرفتها بالفرنسيَّة كانت عميقة جدًّا ولها بها شعر. وقد عملت بتدريس اللُّغتين الفرنسيَّة والإنجليزيَّة، فيما بعد.

نشرت مقالات وأبحاثًا في كبريات الصُّحف والمجلَّات المصريَّة.

عانت الكثير بعد وفاة والدها ووالدتها، وقضت بعض الوقت في مستشفى للأمراض النَّفسيَّة، فاحتجَّت الصُّحف اللُّبنانيَّة وبعض الكُتَّاب والصَّحفيِّين بعنف على السُّلوك السَّيِّئ لأقاربها، فنقلت إلى مستشفى خاصٍّ في بيروت، ولمَّا عادت لها عافيتها عادت إلى مصر، حيث توفِّيت تاركة وراءها مكتبة نادرة لا تزال محفوظة بالقاهرة وتراثًا أدبيًّا خالدًا، من أشهر مؤلَّفاتها:

كتاب المساواة، باحثة البادية، سوانح فتاة، الصَّحائف، كلمات وإشارات، غاية الحياة، رجوع الموجة، بين الجزر والمدِّ، وكثير غيرها.

[77] ستيفان فيلد Stefan wild أحد أبرز وجوه الاستشراق الألماني المعاصر، وهو أستاذ اللُّغات السَّاميَّة والدِّراسات الإسلاميَّة في جامعة (بون) الألمانيَّة، له عدد من المؤلَّفات المهمَّة في الدِّراسات القرآنيَّة والأدب العربي والكلاسيكي.

درس فيلد في عدد من الجامعات الألمانيَّة، قبل أن يحصل على الدُّكتوراه في الفلسفة من جامعة (ميونيخ). وفي العام ذاته، عُيِّن مديرًا للمعهد الألماني للأبحاث الشَّرقيَّة في بيروت حتَّى عام 1974م. ثمَّ عيِّن في جامعة (أمستردام) في منصب رئيس قسم اللُّغات السَّاميَّة والدِّراسات الإسلاميَّة، إلى أن دعته جامعة (بون) ليصبح أستاذ اللُّغات السَّاميَّة والدِّراسات الإسلاميَّة بها. وقد استمرَّ في عمله في جامعة (بون) قرابة 25 عامًا إلى أن تقاعد في عام 2002م.

وقد نُشرت لفيلد العديد من المؤلَّفات، منها: **كتاب العين والمعجم العربي - كتاب في الصِّناعة المعجميَّة العربية، سيرة غسَّان كنفاني: حياة زعيم فلسطيني**.

[78] سيِّد حسين نصر: هو فيلسوف إسلامي معاصر، ولد في (1933 م) في (طهران). حصل على البكالوريوس في الفيزياء من جامعة (إم.آى.تي) وعلى الماجستير في الجيولوجيا والجغرافية الفيزيائيَّة من جامعة

الأمريكيَّة[79]، وتحدَّثت في كتابها **مسيرتي في طريق الحقّ** عن الظُّروف الَّتي جمعتها بكثير من هٰؤُلاءِ المفكِّرين والباحثين. فها هي تتحدَّث عن لقائها، في أواخر السِّتّينات، بالمستشرقة الدُّكتورة شاريس وادي[80]، فتقول: "أثناء وجودها في بيروت، زارتني، في بيتي، ثلاث مرَّات. وفي الزِّيارة الثَّالثة، قدَّمت إليَّ كتابًا صغيرًا، فيه كلمة من الأزهر الشَّريف للتَّعريف بجماعة (التَّسلُّح الخلقي). وقد سألتها كيف عرفتْ اسمي. فأجابتني بأنَّ الدُّكتور (عبد المجيد مكين) كان قد تحدَّث إليها عنّي. وقد ظهر كتابها ذٰلِكَ إلى عالم الوجود في سنة ألف وتسعماية وستٍّ وسبعين ميلاديَّة، وسمَّته **العقل المسلم** وتحدَّثتْ فيه عن مقابلتها لعدد من الشَّخصيَّات الإسلاميَّة المرموقة، في عالم الفكر والرُّوح والعلم والأدب، وخصَّصت فيه أربع صفحات تحدَّثتْ فيها عن مقابلتها لي مع مقالة عن سيِّدي الوالد"[81].

(هارفارد). وفي العام 1958م، حصل على درجة الدُّكتوراه في الفلسفة وتاريخ العلوم أيضًا من جامعة (هارفارد).

عمل بروفسورًا في قسم الدِّراسات الإسلاميَّة في جامعة (جورج واشنطن). كما ترك العديد من المؤلَّفات، من أشهرها: **الإسلام في العالم المعاصر**، **والإسلام ومحنة الإنسان المعاصر**، **والإسلام: أهدافه وحقائقه** (مترجم للعربيَّة)، **ومقدِّمة إلى العقائد الكونيَّة الإسلاميَّة** (مترجم للعربيَّة)، **والفنُّ الإسلامي والرُّوحانيَّة**، **والفكر العقلاني الإسلامي في بلاد فارس**، **حديقة الحقيقة: التَّصوُّف ومنهاجه**، **الصُّوفيَّة: بين الأمس واليوم** (مترجم للعربيَّة)، **ثلاثة حكماء مسلمين: ابن سينا، السُّهروردي وابن عربي** (مترجم إلى العربيَّة)، **محمَّد (ﷺ): الإنسان الرَّبَّاني**.

[79] اليشرطيَّة، **مسيرتي**، ص ص 335-345.

[80] شاريس وادي Charis Waddy (ت 2004 م): أكاديميَّة متخصِّصة في العلوم الإسلاميَّة، وكانت أوَّل امرأة تخرَّجت من جامعة (أكسفورد) في تخصُّص اللُّغات الشَّرقيَّة. كما حصلت على الدُّكتوراه من جامعة لندن. ألَّفت العديد من الكتب من أهمِّها: **العقل المسلم**، **نساء في تاريخ الإسلام**، **تشكيل أوروبَّا الحديثة...** وغيرها.

[81] اليشرطيَّة، **مسيرتي**، ص 335.

كما التقت السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة، كَذٰلِكَ، بالدُّكتور يوسف إيبش[82]، وكان قد ترجم إلى الإنكليزيَّة مقالة عن التَّصوُّف من وضع السَّيِّدة فاطمة، وألقاها في المؤتمر العالمي الَّذي عقد في مدينة (هيوستن) بولاية (تكساس)، وعنوانها "**التَّأمُّل والحركة طريق التَّصوُّف**"، وطبعت التَّرجمة بأمريكا[83].

ولم تكن هٰذِهِ اللِّقاءات مجرَّد جلسات عابرة، فرضتها ظروف عابرة، بل كانت رابطًا عميقًا يربط ما بين العالمة الصُّوفيَّة وغيرها من رجال الفكر والمجتمع. حسب ما تقول السَّيِّدة فاطمة: " ... فإنَّ معرفتي بعلماء تلك الفترة الَّتي تلت الحرب العالميَّة الأولى، واتِّصالي بهم، سواء أكان ذٰلِكَ في عكَّاء أو في القاهرة أو دمشق أو بيروت، وصداقتي لكلِّ واحد منهم، جعلتهم لا ينقطعون عن زيارتي، أو مراسلتي، حتَّى أُولٰئِكَ الَّذين لم يكونوا من أبناء طريقتنا الشَّريفة. وكان لِهٰذِهِ الصُّحبة والودِّ الأصيلين أبلغ الأثر في نفسي، لأنَّهم كانوا ينظرون إليَّ نظرة تقدير واحترام، لتعشُّقي مبادئ الإنسانيَّة، وتهافتي على طلب العلم والمعرفة..."[84].

ومصداقًا لِذٰلِكَ، فقد أرَّخ لها بعضهم، فكتبت عنها وداد سكاكيني[85] في كتاب **سابقات العصر**، وَكَذٰلِكَ ماري عجمي في الصَّحافة العربيَّة، ومحمَّد مطيع الحافظ ونزار أباظة، اللَّذان كتبا عنها في **تاريخ علماء دمشق في القرن الرَّابع عشر الهجري**... وغيرهم كثيرون.

---

[82] يوسف إيبش: (ت 2003م) ولد في مدينة دمشق بسوريًا، في عائلة إسلامية محافظة، كان عدد كبير من رجالها ونسائها من أبناء الشَّاذليَّة اليشرطيَّة. وتلقَّى علومه الجامعيَّة، في الجامعة الأمريكيَّة في بيروت، حيث نال منها شهادة البكالوريوس، ثمَّ الماجستير، في العلوم السِّياسيَّة. وبعد ذٰلِكَ، حصل على الدُّكتوراه من جامعة هارفارد، في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، في الدِّراسات الشَّرق أوسطيَّة، وبخاصَّة ما يتعلَّق منها بالفلسفة الإسلاميَّة والسِّياسيَّة. ثمَّ، اشتغل بالتَّدريس، في جامعة هارفارد، وجامعة دارموث، ثمَّ جامعة (ويسكنسن – ماديسون)، وأخيرًا، في الجامعة الأمريكيَّة في بيروت. انظر: اليشرطيَّة، **م. س**، ص 351.

[83] اليشرطيَّة، **م. س**، ص ص 351-355؛ والمرعشلي، **نثر الجواهر**، ص 961-962.

[84] اليشرطيَّة، **مسيرتي**، ص 305.

[85] وداد سكاكيني: كاتبة وناقدة رائدة من مواليد صيدا في لبنان، تخرَّجت في كلِّيَّة المقاصد الإسلاميَّة في بيروت، وقد أمضت عشر سنوات من حياتها في التَّعليم، ثمَّ أقامت في سوريَّة ومصر مع زوجها الأديب زكي المحاسني، بدأت حياتها الأدبيَّة في مطلع الثَّلاثينيَّات، نشرت معظم أعمالها في القاهرة، وتوفِّيت في دمشق.

ومن الجدير ذكره، أنَّ تربية السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة الصُّوفيَّة قد عزَّزت لديها تلك النَّزعة الإنسانيَّة الَّتي تجلَّت في مسار حياتها، ممَّا دفعها للمبادرة إلى المساهمة مع كثير من الكتَّاب والأدباء والعلماء لنشر التَّعليم، وبثِّ روح الحرِّيَّة والتَّسامح في المجتمعات. ويكفي أن أذكر هنا، أنَّ السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة كانت صديقة مقرَّبة للأديبة ميّ زيادة لأكثر من ثلاثين عامًا، حيث وقفت بجانب ميّ في محنتها، حينما تمَّ وضعها في مستشفى الأمراض العقليَّة، وفعلت المستحيل لإخراج صديقتها من المستشفى. وقد نجحت في ذٰلِكَ[86].

وقد لخَّص مقال خاصٌّ عن الأديبة ميّ زيادة بعنوان: **ميّ زيادة، الفلسطينيَّة الحائرة، هٰذِهِ العلاقة بين السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة والأديبة ميّ زيادة**، فجاء فيه: "ومن غريب الصُّدف، أنَّه عندما اضطربت حياة ميّ، وتكالب القدر ضدَّها، وتخلَّى عنها أهلها، واتَّهموها بالجنون طمعًا في مالها، لم تجد بجانبها إلَّا امرأة فلسطينيَّة، من رائدات الأدب والثَّقافة، المتصوِّفة الكبرى فاطمة اليشرطيَّة، ابنة شيخ الطَّريقة الشَّاذليَّة اليشرطيَّة في التَّصوُّف (الشَّيخ علي نور الدِّين اليشرطي الشَّاذلي) الَّتي كانت تربطها صداقة حميمة مع ميّ زيادة، ويوم نقلت ميّ إلى لبنان للاستشفاء، ثمَّ إلى مستشفى الدُّكتور ربيز (الخاصِّ بالمجانين) في بيروت، بتدبير من بعض أقاربها، عرفت متصوِّفتنا بالأمر عن طريق نسيبتها (حفيدة الأمير

تنوَّعت أعمالها بين الكتابة الإبداعيَّة والدِّراسة الأدبيَّة والنَّقديَّة والتَّاريخيَّة، لٰكِنَّ الملاحظ أنَّها اهتمَّت بأدب المرأة وتاريخها وسلَّطت الضَّوء على أبرز المبدعات والشَّخصيَّات النِّسويَّة التَّاريخيَّة في الشَّرق والغرب.

تعدُّ رائدة في مجال القصَّة القصيرة النِّسويَّة، لها عدَّة مجموعات قصصيَّة: **مرايا النَّاس وبين النِّيل والنَّخيل** وغيرها. ومن رواياتها أيضًا: **أروى بنت الخطوب**، **والحبُّ المحرَّم**.

ومن مؤلَّفاتها أيضًا: من المقالات: **الخطرات**، **إنصاف المرأة**، وغيرها. أمَّا الدِّراسات فلها **أمَّهات المؤمنين**، **العاشقة المتصوِّفة: رابعة العدويَّة**، **نساء شهيرات من الشَّرق والغرب**، دراسة بالاشتراك مع تماضر توفيق، **سابقات العصر وعيًا وفنًّا وسعيًا**.

[86] زعرب، امتياز النَّحَّال، **فلسطينيَّات، وجوه نسائيَّة فلسطينيَّة معاصرة**، 2013م؛ نقلًا عن مدوَّنة: **قلم ودفتر**،

http://emtiazalnahhal.blogspot.com/2014/02/blog-post_23.html

وَكَذٰلِكَ نقلًا عن موقع: **القدس للثَّقافة والتُّراث**،

https://alqudslana.com/index.php?action=individual_details&id=2134.

عبد القادر الجزائري) والأديب الفيلسوف أمين الرّيحاني، فقامت برفع دعوى في المحاكم اللُّبنانيَّة لإنصاف ميّ، ولم تكتف بِذٰلِكَ بل راحت تحرِّك الرَّأي العام، وَذٰلِكَ بإرسال عشرات البرقيَّات من سوريًا وفلسطين ولبنان وغيرها، وكلُّها تحمل مئات التَّواقيع إلى رئيس الوزراء في لبنان يومئذ (الأمير خالد الشِّهابي)، وإلى رئيس المحكمة، وغيرهما من المسؤولين .... وتوزِّع نسخًا منها على الصُّحف... وكلُّها تطالب بإنصاف ميّ زيادة، حتَّى أذعنت المحكمة لِهٰذِهِ الضُّغوطات".

"وميّ زيادة كانت ضيفة معزَّزة مكرَّمة على صديقتها اليشرطيَّة في عكَّاء...دائمًا احترمت تصوُّف صديقتها، ونظمت في تصوُّفها وروحانيَّتها الكثير، ومنه ما نظمته في رسم لها، قالت فيه:

ورسمٍ نمَّ عن ظلٍّ لطيف	أرقَّ من الأزاهر والأغاني
براه الله من ماء ونور	فما يبغي سوى سبل التَّفاني
ففي عينيه آية كلِّ نبل	وفي جنبيه أرواح الجِنان
فإن تعجَب لحسنٍ رقّ حتَّى	بدا في الرَّسم عنوان البيان
فغرسٌ في منابته ذكيٌّ	ومجدٌ ملءُ أسماع الزَّمان

ثلاثون عامًا من الصَّداقة المتينة بين متصوِّفتنا الكبرى وميّ زيادة لم تنته إلَّا بوفاة ميّ... رحمها الله"[87].

[87] انظر المقال على موقع **صحيفة الحياة الجديدة**:

http://www.alhaya.ps/arch_page.php?nid=162847

كما وصفت الأديبة ناديا خوست[88]، في روايتها التَّأريخيَّة **وداع ولقاء في بلاد الشَّام**[89]، لقاءها بالسَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة، والخصال الرَّائعة الَّتي اكتسبتها منها، ووصفت علاقتها ببنات عصرها من الكاتبات والمفكِّرات. كما تحدَّثت الرِّواية عن الطَّريقة اليشرطيَّة، ووصفت حلقات الذِّكر الَّتي كانت تقام في زاوية عكَّاء، وليعذرني القارئ أن أطيل عليه الاقتباس من الرِّواية، لأنَّها تلخِّص الكثير من النَّشاطات، والحياة الاجتماعيَّة والفكريَّة الَّتي كانت تحياها السَّيِّدة فاطمة.

تقول الأديبة، في روايتها: " ... قالت سعاد لعبد الرَّحيم[90] في هدوء: ... سأستعين بالسِّتِّ فاطمة اليشرطيَّة! دهش عبد الرَّحيم؟ تعرف السِّتَّ فاطمة؟ وصفت له عبَّاس أفندي[91]، وزياراتها مع السِّتِّ شفيقة إلى "ستِّي فاطمة" في عكَّا، وصفت له الزَّاوية اليشرطيَّة في عكَّا. تبحث يا عبد الرَّحيم عن سند بعيد، والسَّند في بيتك! لٰكِنَّ الشَّاذليِّين ليسوا كما صوَّرتهم تمامًا، يا عبد! حكت لي خالتي أنَّ جدَّهم أتى من المغرب، كان يلبس عباءة مغربيَّة ذات قبَّعة على الرَّأس. وكانت يداه كالعجين، والنَّاس يقبِّلونهما".

"شجَّع السُّلطان عبد الحميد الشَّاذليِّين وكان منهم...كتب السُّلطان لأبي الشَّامات أنَّه خُلِع لأنَّه رفض بيع فلسطين ...".

"يوم زارت عكَّا مع السِّتِّ شفيقة أوَّل مرَّة، قالت لها شفيقة: عكَّا هي: السُّور ومسجد الجزَّار وفاطمة اليشرطيَّة!... "

---

[88] ناديا خوست: كاتبة وأديبة سوريَّة ولدت في دمشق عام 1935، وهي شركسيَّة سوريَّة. حصلت على درجة الدُّكتوراه في الأدب المقارن من الاتِّحاد السُّوفييتي بعد حصولها على بكالوريوس الفلسفة من جامعة دمشق. عملت موظَّفة مسؤولة مع لجنة الحفاظ على المدينة القديمة في دمشق.

أهمُّ أعمالها الأدبيَّة: **أحبُّ الشَّام** (مجموعة قصصيَّة)، **في القلب شيء آخر** (مجموعة قصصيَّة)، **في سجن عكَّا** (مجموعة قصصيَّة)، **حبٌّ في بلاد الشَّام**، (رواية)، **كتّاب ومواقف** (دراسة أدبيَّة).

[89] وغالبية ما ستذكره الكاتبة عن السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة وعائلتها وعلاقاتها الأدبيَّة مطابق للواقع.

[90] شخصيَّات من أبطال الرِّواية لا نعرف إن كانت شخصيَّات حقيقيَّة، أو أنَّها ترمز للكاتبة أو ممَّن قابلتهم.

[91] هو عبَّاس الهائي، وقد سبق التَّعريف به.

"تقول لنفسها: توسع السَّيِّدة فاطمة الدُّنيا. كأنّي في عالم دون سقف وجدران! يحكي النَّاس أنَّ الحصان ركع كي تركبه السِّتُّ فاطمة... عندما قبَّل الزُّوَّار الشَّاذليُّون يدها، نظرت سعاد إلى السَّجَّادة."

"وانصرفت إلى فاطمة اليشرطيَّة الَّتي لا يراها من يقبِّل يدها. تأمَّلت الكبرياء والتَّواضع، الثِّقة بالعلم والرَّغبة في أن تمنحه، وبدا لها أنَّ فاطمة اليشرطيَّة تتلقَّى احترام المريدين[92] الَّذين يقبِّلون يديها كأنَّها أمٌّ".

"استقبلت السَّيِّدة فاطمة امرأتين من سوريَّا قدَّمتهما لسعاد: نازك العابد[93]، تبرَّعت بقريتها في الغوطة للفلَّاحين! ماري عجمي[94]، صاحبة مجلَّة **العروس**! ...أسَّستها في سنة 1910؟ الأولى شقراء جميلة، طويلة. والثَّانية سمراء، مربوعة".

---

[92] تقصد مُريدي والدها الشَّيخ علي نور الدِّين اليشرطي. فالسَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة لم يكن لها مُريدون.

[93] نازك العابد (ت 1959م) لقبها" جان دارك العرب" أديبة وناشطة سياسيَّة سوريَّة. أتقنت عدَّة لغات. تلقَّت علومها في دمشق، ثمَّ لاحقًا نُفيت عائلتها إلى (إزمير) التُّركيَّة، فتابعت علومها هناك، كما ألحقت دراستها بتعلُّم فنِّ التَّصوير والعزف على البيانو، واهتمَّت بالتَّمريض.

حين عادت من منفاها بدأت بالكتابة في عدَّة صحف مثل (لسان العرب) و(العروس)، وترأَّست جمعيَّة (نور الفيحاء) لمساعدة ضحايا الثَّورة السُّوريَّة الكبرى، كما شجَّعت على حقِّ المرأة على الانتخاب، في زمن الحكم العثماني.

وقد أصدرت أوَّل مجلَّة أدبيَّة اجتماعيَّة تحت اسم (نور الفيحاء).

بعد الانتداب الفرنسي قامت بتنظيم مظاهرات للفتيات السُّوريَّات تنديدًا بالانتداب، فقامت فرنسا بإغلاق مجلَّتها ومنعتها من إلقاء المحاضرات وإقامة النَّدوات. فما كان منها إلَّا أن اتَّجهت إلى المقاومة السِّرِّيَّة. فأبعدت إلى إسطنبول لمدَّة عامين. ولمَّا عادت إلى وطنها فرضت عليها الإقامة الجبريَّة في إحدى ضواحي دمشق، فعملت في الزِّراعة، لٰكِنَّها شاركت في ثورة 1925.

وبعد زواجها، انتقلت إلى بيروت، حيث تابعت عملها التَّنويري هناك، مؤسِّسةً عدَّة جمعيَّات مثل "ميتم أبناء شهداء لبنان" و "جمعيَّة المرأة العاملة".

[94] ماري عجمي (ت 1965م) شاعرة سوريَّة ولدت في دمشق وتوفِّيت فيها، تنقَّلت بين سوريَّة، ولبنان، والعراق، وفلسطين، ومصر. وعملت معلِّمة في مدارس عدة.

"رأت سعاد فرح السَّيِّدة فاطمة بهما. راقبتها وخيِّل إليها أنَّها أكثر سعادة بالأنداد منها بالمريدين... هل تفهم سعاد السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة، حقًّا؟ يخيَّل إليها أنَّها لم ترها في كمالها إلَّا بين ضيفتيها الدِّمشقيَّتين..."

"قالت ماري عجمي للسِّتِّ فاطمة: مشكلة فلسطين ليست إفراديَّة أو اجتماعيَّة، بل سياسية دوليَّة... "

"قالت السَّيِّدة فاطمة: الكون واسع ونحن ذرَّة في مدار من مداراته!..."

"انحازت سعاد إلى الشَّاذليِّين. وسندت انحيازها. قال لها خالها قدري مرَّة: وضع السُّلطان الشَّاذليِّين مقابل البهائيِّين[95]!..."

"حكى لها قدري عن الطَّريقة الشَّاذليَّة. مؤسِّسها الشَّيخ علي نور الدِّين اليشرطي ولد في بنزرت في تونس سنة 1796م[96]. وبقي في المدينة المنوَّرة مجاورًا أربع سنين. أتى إلى القدس كي يكمل حجَّه في بيت المقدس فأوصلته عاصفة إلى عكَّا. استقرَّ في ترشيحا في قضاء عكَّا، ثمَّ استقرَّ في عكَّا..."

"أحبَّت سعاد الزَّاوية الشَّاذليَّة في عكَّا. نعم، يسهِّل المكانَ الحبُّ أو الكره! الزَّاوية في عكَّا القديمة فسيحة، تسع المريدين والضُّيوف وحلقات الذِّكر الصُّوفيَّة. كان رئيسها إبراهيم ابن الشَّيخ علي الَّذي مات سنة 1928م. وستسجِّل سعاد في حياتها أنَّها زارت ابنه الشَّيخ

أنشأت أول مجلَّة نسائيَّة باسم «العروس» في الإسكندريَّة (1910م)، ثمَّ نقلت نشاطها إلى دمشق، واستمرَّت في الصُّدور حتَّى (1914م) ثمَّ توقَّفت بسبب الحرب العالميَّة الأولى، وعاودت الصُّدور في الأعوام (1918-1926م).

أسَّست النَّادي الأدبي النِّسائي في دمشق، وجمعيَّة (نور الفيحاء) ونواديها، ومدرسة لبنات الشُّهداء (1920م)، وكانت عضو الرَّابطة الأدبيَّة الَّتي تأسَّست في دمشق أوائل العشرينيَّات.

من مؤلَّفاتها: مجموعة شعريَّة ونثريَّة، عنوانها **دوحة الذِّكرى**، وتعريب لرواية **المجدليَّة الحسناء**، وترجمة لكتاب **أمجد الغايات**.

[95] هذا رأي الكاتبة ناديا خوست، وهو قد لا يعبِّر عن الواقع، حيث كتبت السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة أنَّ عبَّاس البهاء كان يتردَّد على مجالس والدها الشَّيخ علي نور الدِّين اليشرطي، وعلى مجالسها العلميَّة.

[96] الأدقُّ أنَّ الشَّيخ علي نور الدِّين اليشرطي ولد عام 1794م.

محمَّد الهادي اليشرطي الَّذي درس في المدرسة الأحمديَّة في عكَّا. وستزوره في بيروت الَّتي هُجِّر إليها ومات فيها، وستعزِّي به قبل أن ينقل جثمانه إلى عكَّا".

"حضرت سعاد (الذِّكْر) في الزَّاوية. سحرتها البرهة الَّتي يرتقي فيه الحاضرون إلى الوجد، مبتعدين عمَّا في حياتهم من فرح وحزن"[97]. انتهى.

يضاف إلى كلِّ ذٰلِكَ، أنَّه كان للسَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة نشاطات اجتماعيَّة، شملت التَّعليم ومساعدة الفقراء والإنفاق على العائلات المحتاجة، ومعالجة المرضى. وقد ربطتها هٰذِهِ النَّشاطات بالعديد من الشَّخصيَّات الفاعلة في المجتمع، سواء في فلسطين أو سوريَّا أو لبنان أو مصر، نذكر منهم، على سبيل المثال لا الحصر، الآنسة ابتهاج قدُّورة (ت 1967م)، الَّتي كانت تربطها بالسَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة صداقة متينة امتدَّت عشرات السِّنين، وكان للآنسة قدُّورة دور بارز في كثير من الجمعيَّات والنَّشاطات الاجتماعيَّة[98].

تتحدَّث السَّيِّدة فاطمة عن هٰذِهِ العلاقة، فتقول: "في أثناء تردُّدنا على لبنان، للاصطياف، اجتمعت بالآنسة ابتهاج قدُّورة، حيث كانت تقضي أشهر الصَّيف، من كلِّ سنة، في بيتها الصَّيفي، في مدينة (عاليه) الجبليَّة. وقد نشأت بيني وبينها علاقة صداقة متينة دامت عشرات السِّنين، إلى أن توفَّاها الله قبل سنوات. ولا أغالي إذا قلت إنَّ الآنسة ابتهاج كانت من النِّساء النَّادرات في المجتمع العربي المعاصر. فمنذ شبابها، كانت تتوقَّد ذكاءً ونشاطًا. وقد امتدَّ نشاطها إلى كلِّ جوانب المجتمع؛ فقد كان لها طموح وهدف، منذ صغرها، في أن تنال المرأة العربيَّة حقوقها في جميع المجالات. وَلِهٰذا، عملت الآنسة ابتهاج في الجمعيَّات النِّسائيَّة الَّتي كانت قائمة عندئذ، وأنشأت جمعيَّات أخرى. ولقوَّة شخصيَّتها، تولَّت رئاسة الاتِّحاد النِّسائي العربي العام، ... ومن المعروف أنَّ ذٰلِكَ الاتِّحاد يجمع عددًا كبيرًا من الاتِّحادات والجمعيَّات النِّسائيَّة في الأقطار العربيَّة".

---

[97] الرِّواية من منشورات اتِّحاد الكُتَّاب العرب، سنة 2002. انظرها: ص ص 47-58.

[98] مثل: جمعيَّة (يقظة الفتاة العربيَّة)، وجمعيَّة (الأمور الخيريَّة للفتيات المسلمات)، وجمعيَّة (النَّهضة النِّسائيَّة في بيروت).

كما أنَّها انتخبت بالتَّزكية رئيسة للاتِّحاد النِّسائي العربي، إثر وفاة رئيسته السَّابقة المرحومة السَّيِّدة هدى شعراوي سنة 1949م.

"ولم تكن صلتي بصديقتي الآنسة ابتهاج قدُّورة ذات طابع سطحي أو عابر. فقد نشأنا معًا، منذ نعومة أظافرنا، وكانت تعاملنا كأخت ثالثة لي ولشقيقتي. ومحبَّتها وإخلاصها لنا كانا عظيمين يعبّران عن ذٰلِكَ الودِّ الأصيل في صداقتنا. ولا أنسى أبدًا، كيف كانت تعاملني عندما كانت صحَّتي تنحرف، أو أصاب بوعكة أو مرض، فقد كانت تتردَّد عليَّ بصورة مستمرَّة، وتقدِّم لي كلَّ العطف والحنان"[99].

جانب أخير، نذكره من جوانب شخصيَّة السَّيِّدة العارفة بالله فاطمة اليشرطيَّة، هو أنَّ انشغالها بالفكر الصُّوفي والثَّقافة والأدب لم يمنعها عن النَّاس، وعن الحياة العامَّة، كما أنَّ طول معايشتها للآداب والفنون الصُّوفيَّة، وبخاصَّة الشِّعر والأناشيد الَّتي كانت تستمع لها في جنبات الزَّاوية الشَّاذليَّة اليشرطيَّة في عكَّاء، ولَّد عندها ذائقة فنِّيَّة عالية وناقدة. إذ اشتهر عنها حبُّها للفنِّ والموسيقى والأصوات الجميلة. حيث تذكر أنَّها كانت معجبة بصوت أمِّ كلثوم ومحمَّد عبد الوهَّاب، فتقول: " ولم يكن، يومذاك، راديو أو تلفزيون ينقل إلينا الغناء والموسيقى، في البيوت. فكنت، خلال إقامتي في القاهرة، أحضر بعض حفلاتهما، كما كنت أشاهد، أيضًا، بعض حفلات التَّمثيل الهادفة، في الأوبرا المصريَّة، من الفرق المصريَّة أو الأجنبيَّة. وكنت أحضر بعض حفلات نجيب الرّيحاني، في مسرحه، لأنَّني كنت أرى فيه ناقدًا اجتماعيًّا من الطِّراز الأوَّل"[100].

وإدراكًا منها أنَّ بعض العقول الرجعيَّة قد تنتقد مثل هٰذا التَّصرُّف منها، فها هي تناقش وتحاجج من منظور فهمهما للدِّين، وتتحدَّث عن قناعاتها حول ذٰلِكَ، فتقول: "وكنت أفعل ذٰلِكَ، وأنا موقنة أنَّه لا يتعارض مع تمسُّكي بأمور ديني، فإذا قام الإنسان بما عليه نحو ربِّه، فلا بأس من مراعاة نفسه وترفيهها، ضمن حدود الشَّرع والأدب، لأنَّها تكون، عندئذ، نفسًا مَرضيَّة مطمئنة. فالدِّين يُسر، ليس فيه تزمُّت أو عسر"[101].

[99] اليشرطيَّة، **مسيرتي**، ص ص 284-285.

[100] **م. س.** ص 304.

[101] **م. س.**، ص 305.

خامسًا: وفاتها وأثرها في معاصريها

لقد توفِّيت العارفة فاطمة اليشرطيَّة في دمشق عام 1979م، ودفنت في بيروت، بعد أن تركت أثرًا عميقًا في نفوس كلِّ من عرفها.

وأختم مقالتي هٰذِهِ باقتباس بعض الكلمات المعبِّرة عن السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة، كما وردت في بعض المؤلَّفات والمقالات.

فقد وصف الدُّكتور سيِّد حسين نصر شخصيَّة السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة، بقوله: "لقد كان لي شرف لقاء السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة في بيروت عام 1960م. وتوطَّدت عرى صداقة قويَّة بيننا. وعندما التقيتها لأوَّل مرَّة، كانت من ناحية بيولوجيَّة كبيرة في السِّنِّ، لٰكنَّ أداءها كان يصدر عن امرأة فتيَّة وجميلة. فقد كان حضورها ينضح بالدَّماثة والنَّقاء والإنسانيَّة المجتمعة مع الجمال والشَّفافيَّة الَّتي تنمُّ عن الصِّدق. لقد أعطت نموذجًا عن مستوى سامٍ من الحُرمة والقُدسيَّة لامرأة كان مثالها الأعلى في الإسلام فاطمة ابنة الرَّسول(ﷺ)، الَّتي تسمَّت باسمها" [102].

كما كتبت ليزلي كاديفيد (Cadavid,Leslie)[103]، عنها عدَّة مقالات، إضافة إلى ما ضمَّنته في كتابها المعروف: *Two who attained: twentieth-century sufi saints: shaykh ahmad al-'alawi & Fatima al-Yashrutiyya*. فقالت في واحدة من تلك المقالات إنَّ السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة اعتمدت على نفسها في تثقيف نفسها، كما أنَّها استفادت من

---

[102] انظر: تقديم الدُّكتور سيِّد حسين نصر لكتاب:

Cadavid, Leslie, *Two who attained: twentieth-century Sufi saints: shaykh Ahmad al-'Alawi & Fatima al-Yashrutiyya*, Fons Vitae press, 2006, p.viii.

[103] ليزلي كاديفيد Leslie Cadavid تقيم في إنديانا، تخرَّجت من جامعة لندن في قسم الدِّراسات الشَّرقيَّة والإفريقيَّة، في تخصُّص اللُّغة العربيَّة والإسلام، كما التحقت بجامعة إنديانا في تخصُّص اللُّغات والحضارة الغربيَّة. لها العديد من الكتب والمقالات، من أهمِّها:

Fatima Al- Yashrutiyya: The Life and Practice of a Sufi Woman and Teacher.

واشتهرت بكتابها:

Two who attained: twentieth-century Sufi saints: shaykh Ahmad al-'Alawi & Fatima al-Yashrutiyya

مجالس والدها الشَّيخ علي نور الدِّين اليشرطي، الصُّوفيَّة والفكريَّة، إضافة إلى قيام بعض مُريدي والدها بتعليمها، حتَّى صارت ما هي عليه من سعة العلم والاطِّلاع[104].

وتضيف أنَّها كانت متميِّزة من عدَّة جوانب؛ فهي:

- أوَّلًا، ثقَّفت نفسها، وبدأت تقرأ كتب التَّصوُّف والإسلام، في عمر صغير. بل إنَّها كتبت في عام 1973م مقالة لمؤتمر (هيوستن/ تكساس)، أظهرت أنَّها متمكِّنة من العلم والفكر.
- وعلى الرَّغم من أنَّه كان من المستغرب بالنِّسبة للمرأة، في ذٰلِكَ الوقت أن تخرج من بيتها، وتلتقي بالرِّجال، فهي، ثانيًا، لم تتردَّد في الاجتماع بأدباء عصرها ومفكِّريه، ومحاورتهم في كثير من القضايا العلمَّية والفكريَّة.
- ظلَّت بدون زواج، لأنَّها كانت مخلصة ومتفرِّغة للمعرفة، الَّتي اعتبرتها في قمَّة أولويَّاتها.
- هي من النِّساء القلائل، في القرن العشرين، اللَّواتي تحدَّثن عن رحلتهنَّ إلى الله[105].

كما تنقُل كاديفيد عن المستشرق، جان لويس ميشون[106]، الَّذي التقى بالسَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة عام 1970م، في بيروت، قوله إنَّ اللِّقاء كان: " مذهلًا. فعلى الرَّغم من أنَّ عمرها قرابة الثَّمانين، لٰكِنَّ وجهها كان بلا تجاعيد. بل كان مشعًّا كأنَّها فتيَّة شابَّة، مفعمة بالحياة، مع أنَّها كانت هادئة جدًّا"[107].

---

[104] Cadavid, L. (2007). *Fatima Al-Yashrutiyya: The Life and Practice of a Sufi Woman and Teacher*, Voices of Islam. v.2. (Ed.) Cornell, V.J. pp. 175-199.

[105] Cadavid, L. *Two who attained*, p.p.xix-viii. & Cadavid, L. *Fatima Al-Yashrutiyya*. p. 175.

[106] جان لوي ميشون Jean-Louis Michon (ت 2013م) ولد في فرنسا، وحصل على دبلومين: واحد في القانون والثَّاني في الأدب الإنجليزي، لٰكِنَّهُ انتقل إلى باريس لدراسة العلوم السِّياسيَّة، وهناك تعرَّف إلى رينيه جينيون الَّذي تأثَّر بكتاباته، فتخصَّص في الفنِّ الإسلامي والتَّصوُّف، بعد ذٰلِكَ حصل على الدُّكتوراه من جامعة (السُّوربون) في تخصُّص الدِّراسات الإسلاميَّة، عن شخصيَّة المتصوِّف المغربي الشَّيخ أحمد بن عجيبة. اعتنق الإسلام، ثمَّ تسمَّى باسم (علي عبد الخالق). أهمُّ كتاباته:
Ibn Ajiba: Two Treatises on the Oneness of Existence
و *Introduction to Traditional Islam* و *Sufism: Love and Wisdom* وغيرها...

[107] Cadavid, L. *Fatima Al-Yashrutiyya*, p 175.

كما ذكرتها شاريس وادي (Charis Waddy) في كتابها **العقل المسلم** (The Muslim Mind)[108]. فقالت إنَّها بفضل شخصيَّتها وكتبها، كان لها تأثير كبير على انتشار الطَّريقة الشَّاذليَّة اليشرطيَّة، في حياة أخيها الشَّيخ إبراهيم اليشرطي، ومن بعده ابن أخيها محمَّد الهادي بن إبراهيم اليشرطي[109].

وتقول المؤلِّفة إنَّها التقت بالسَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة في بيروت، بعد أن تعرَّفت عليها من خلال صديق لها هو د. عبد المجيد مكين، وهو يعتبر من المختصِّين في تاريخ الطَّريقة الشَّاذليَّة، في سيريلانكا[110]. ولقد خصَّصت السَّيِّدة (وادي) عدَّة صفحات للحديث عن السَّيِّدة فاطمة وكتبها، وعن والدها الشَّيخ علي نور الدِّين اليشرطي، وعن الطَّريقة الشَّاذليَّة اليشرطيَّة، وانتشارها في مشارق الأرض ومغاربها، واستمرار تعاليمها حتَّى لحظة كتابة كتابها المذكور سابقًا[111].

باحث آخر مجهول كتب عن السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة في موقع **الحكواتي**، ما مضمونه: "كان للعالمة الدِّينيَّة حضور هادئ مشعٌّ في أيِّ مجلس كانت، ما جعل كلَّ من عرفها، ولو مرَّة واحدة، لا ينسى لقاءها ولا حديثها، وكان ذٰلِكَ في أوائل السَّبعينات في بيروت. وكانت، وهي الَّتي أصبحت في عمر الشَّيخوخة ما زالت محدِّثة حاضرة الذِّهن والرُّوح والوجدان لمناقشة الجالس أمامها قضايا العصر، وهموم النَّاس؛ كانت وهي العالمة المتصوِّفة، سرعان ما يشعر المرء في حضرتها أنَّها هي الَّتي دخلت عالمه وقضاياه، وكثيرًا ما تكون هي صاحبة المبادرة، وينتهي اللِّقاء دون أن تبدي من ناحيتها حتَّى إيحاءً بأنَّ على الآخرين هم أن يدخلوا عالمها. كانت من القلائل من بين نساء العرب ورجالهم، في تقديرها واحترامها للإنسان"[112].

---

[108] طبعة Longman، عام 1976م.

[109] Charis Waddy, *The Muslim Mind,* Longman, 1976, p158.

[110] *Ibid,* p158.

[111] *Ibid,* pp. 158-162.

[112] انظر: موقع **الحكواتي**، http://al-hakawati.la.utexas.edu/.

كما ورد وصفها في كتاب **المرأة الفلسطينيَّة في عهد الانتداب** للباحثة حنان العسلي الشِّهابي بأنَّها "زعيمة التَّصوُّف بين النِّساء في العصر الحديث"[113].

أمَّا عن صلتها بالسِّياسة، فهي في سيرتها الذَّاتية تقول إنّها ليست من أهل السِّياسة، لٰكِنَّها تحبُّ وطنها وأبناء أمَّتها، "فلا عجب إن كانت صلتي بعائلات الزُّعماء والوجهاء، وصداقتي لبعض من عرفت منهم، مكينة متينة. وَهٰذا يذكِّرني بتلك الأيَّام الَّتي كنَّا نحلم فيها بقيام دولة عربيَّة إسلاميَّة واحدة، تجمعنا وتعيد لنا مجدنا التَّليد القديم، مجد أيَّام الرَّسول الأعظم، ﷺ، وأيَّام الخلفاء الرَّاشدين والفتوحات الإسلاميَّة العظيمة. كنَّا نحلم فيها بقيام دولة عربيَّة إسلاميَّة واحدة"[114].

وقد مدحها أحد شعراء الطَّريقة الشَّاذليَّة اليشرطيَّة[115] بقصيدة طويلة، نقتبس منها الأبيات التَّالية:

ألقى عليها حبالًا من مفاتنه	يكاد منها ظلام اللَّيل يستعر
مضى الزَّمان ولم تذهب نضارتها	كأنَّما قد سقاها الحبُّ والذِّكر
ورحتُ أصغي فما زاد الحديث على	قولِ النَّسيم بأنَّ الصُّبحَ يزدهر
وأنَّ فاطمةَ الزَّهراء طلعته	في بردتيها توارى الشَّمسُ والقمر
صوفيَّة القلب ملء العين أفرغها	في قالبٍ أشرقت في صوغه الغُرر
هي الشَّبابُ وما غضَّ الشَّباب سوى	نضارة القلب إذ تسمو بها الفِكَر
هوى الفواطمِ بعضُ الدِّين متعته	إنَّ الفؤاد بريّا الحبِّ مختمر
الأنسُ عندك تسبيح يرافقه	شدو الهزار ونجوى الله والسُّور
لله فرعك في العلياء متّصلًا	بجنّة الخُلد يعلي مجده القدر
كأنَّ عينيك في الجنَّات ناظرة	أنَّى التفتِّ يشعُّ النُّور والزَّهر
أشتاق ظلَّك ممدودًا على سعة	يؤمُّه في الهجير البدو والحضرُ

[113] انظر: صحيفة الرَّأي، يوسف محمود، حنان العسلي الشِّهابي و"**المرأة الفلسطينيَّة في عهد الانتداب**"، مقال، بتاريخ 6-8-2016، نقلًا عن: http://alrai.com/article/1004127

[114] اليشرطيَّة، **مسيرتي**، ص 292.

[115] لم أعثر على توثيق لقائل الأبيات السَّابقة.

مقدِّمة لا خاتمة:

هٰذا كلُّ ما قيل هنا... وربَّما نحتاج لصفحات أكثر، لنعلم كلَّ ما قيل هناك...

صحيح أنَّ السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة حاولت أن تلخِّص لنا تجربتها الفريدة، إذ ليس سهلًا أن تأتي إلى هٰذِهِ الدُّنيا، وتبدأ من سنِّ الرَّابعة أو الخامسة رحلة خاصَّة إلى الحقِّ...

صحيح أنَّ السَّيِّدة اليشرطيَّة قد استثمرت كلَّ الظُّروف الَّتي أحاطت بها، لأنَّها كانت ابنة شيخ عظيم، لطريقة صوفيَّة واسعة الانتشار، أحاطتها برجال علم وفنٍّ ودين، سخَّروا كلَّ ما لديهم لتنشئتها وتعليمها وصياغة فكرها ...

وصحيح أنَّها واجهت كلَّ التَّحدِّيات الَّتي حاولت أن تضيِّق عليها الخناق، تحدِّيات شخصيَّة كالمرض، وبالتَّالي، عدم الذَّهاب للمدرسة، وتحدِّيات خارجيَّة، كالحروب والتَّهجير، وأخرى كالقيود على حركة المرأة...

هذا، بعض ما قيل هنا، في سيرتها الذَّاتيَّة، أو في الكتب والمقالات الَّتي تحدَّثت عن صفاتها وإنسانيَّتها وعلومها... لٰكنْ هناك الكثير ممَّا يمكننا أن نتعمَّق فيه بين السُّطور، من خلال ما كتبته، في مؤلَّفاتها الخمسة... فهي، كما قلت، في البداية، امرأة سبقت عصرها، بل تشرَّبت كلَّ ما في عصرها من تديُّن وفقه، وإنسانيَّة وخُلُق، وعلم ونباهة. ثمَّ بثَّت كلَّ ذٰلِكَ في كتبها.

صحيح أنَّها، في كتبها كانت تتحدَّث عن والدها القطب، وعن رجالات الطَّريقة، وعن إنجازات الطَّريقة الشَّاذليَّة اليشرطيَّة في كلِّ المجالات: الاجتماعيَّة والفرديَّة، الأدبيَّة والفنِّيَّة، الصُّوفيَّة والعاديَّة، الطَّبيعيَّة والخارقة للطَّبيعة...لٰكِنَّنا نحتاج إلى كثير من الوقت والورق، لنبحث في كلِّ ما قيل هناك. كلِّ ما أرادتنا السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة أن ندركه عن فكرها وذوقها وعلمها ومنهجها... وبالتَّالي، عن موقفها، الَّذي صنعته بشقِّ الأنفس من الحياة والتَّحدِّيات والمجتمع... وعن دورها، المتواضع، لٰكِنَّهُ عميق الأثر، في كلِّ من حولها من رجالات التَّصوُّف، وأدباء العصر، ومستشرقين ومُريدين. والَّذين ظلّوا حتَّى هٰذِهِ السَّاعة يتذكَّرونها ويبحثون عن بصماتها، حتَّى قيل إنَّه لولا همَّة السَّيِّدة فاطمة اليشرطيَّة واهتمامها، ولولا علمها وزهدها، وإخلاصها لطريقة والدها، لما وصل إلينا تراث والدها وطريقته.

ربَّما يتاح لنا بعض الوقت والورق، لنكمل البحث عن تلك الشَّخصيَّة المميَّزة للمرأة العربيَّة الإنسانة، والمسلمة المتصوِّفة، والعالمة المؤرِّخة.

المصادر:

كتب المراجع:

طوبي، أسمى. "رحلة إلى الحقِّ، تأليف فاطمة اليشرطيَّة الحسنيَّة." **مجلَّة الآداب**، العدد 2، 1 فبراير 1955.

البيطار، عبد الرَّزاق. **حلية البشر في تاريخ القرن الثَّالث عشر**. تحقيق: محمَّد بهجة البيطار. دمشق: المجمع العلمي العربي، 1963.

الحافظ، محمَّد مطيع، وأباظة، نزار. **تاريخ علماء دمشق في القرن الرَّابع عشر الهجري**. ج. 2. دمشق: دار الفكر، 1986.

الحصني، محمَّد أديب. **منتخبات التَّواريخ لدمشق**. بيروت: الآفاق، 1979.

الدَّوادي، رشيد. **أعلام من بنزرت**. تونس: المغرب العربي، 1971.

الزِّرِكْلي، خير الدِّين. **الأعلام**. بيروت: دار العلم للملايين، 1984.

السَّوافطة، وفاء. **المدرسة الشَّاذليَّة اليشرطيَّة وشيخها الشَّيخ علي نور الدِّين اليشرطي**. ط.2. دمشق: دار البشائر، 2017.

الطُّعمي، محيي الدِّين. **تكملة جامع كرامات الأولياء**. بيروت: دار الكتب العلميَّة، 2008.

المرعشلي، يوسف. **نثر الجواهر والدُّرر في علماء القرن الرَّابع عشر، وبذيله عقد الجوهر في علماء الرُّبع الأوَّل من القرن الخامس عشر**. بيروت: دار المعرفة، 2006.

اليشرطيَّة، فاطمة. **رحلة إلى الحقِّ**. ط.4. د. م: د. ن، 1997.

اليشرطيَّة. **مسيرتي في طريق الحقِّ. أثر التَّصوُّف في حياتي**، ط.1. د.م: د. ن، 1997.

خوست، ناديا. **وداع ولقاء في بلاد الشَّام**. د.م: منشورات اتِّحاد الكُتَّاب العرب، 2002.

Cadavid, Leslie. *Two who attained: twentieth-century Sufi saints: shaykh Ahmad al-'alawi & Fatima al-Yashrutiyya*. s.l.: s.n., n.d.

Cadavid, L. Fatima Al-Yashrutiyya: The Life and Practice of a Sufi Woman and Teacher. *Voices of Islam*. v.2. (Ed.) Cornell, V.J. (2007).

Waddy, C. *The Muslim Mind*, Longman, Longman, 1976.

المواقع والمقالات

موقع التَّاريخ السُّوري المعاصر.

نظير شمالي، موقع عكًّا نت.

موقع المعرفة

موقع ويكيبيديا.

http://alqudslana.com/index.php?action=individual_details&id=2134

زعرب، امتياز النَّحال، **فلسطينيَّات، وجوه نسائيَّة فلسطينيَّة معاصرة**، 2013م؛ نقلًا عن مدوَّنة: قلم ودفتر،

http://emtiazalnahhal.blogspot.com/2014/02/blog-post_23.html

موقع: القدس للثَّقافة والتُّراث:

https://alqudslana.com/index.php?action=individual_details&id=2134

موقع صحيفة الحياة الجديدة:

http://www.alhaya.ps/arch_page.php?nid=162847

موقع الحكواتي: http://al-hakawati.la.utexas.edu

يوسف محمود، والشِّهابي، حنان العسلي، "**المرأة الفلسطينيَّة في عهد الانتداب**"، صحيفة الرَّأي، مقال، بتاريخ 6-8-2016، نقلًا عن موقع: http://alrai.com/article/1004127